المحلل الرياضي.. بين القراءة العلمية والخرافة الإعلامية

ص8

إسبانيا تعتلي العرش العالمي مجددا

ص11

زينب القادري

قصة امرأة صنعت من الكسكس جسراً للمحبة

ص10

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الثلاثاء 2026/07/21 - 07 صفر 1448

السنة 49 العدد 13866

Tuesday 21/07/2026

49th Year, Issue 13866

www.alarab.co.uk

الحرب الأميركية - الإيرانية تدخل مرحلة استنزاف مفتوحة

واشنطن وطهران تنتقلان من سباق الضربات إلى إدارة حرب طويلة الأمد

واشنطن - دخلت الحرب بين الولايات المتحدة وإيران مرحلة جديدة تختلف عن الأسابيع الأولى للمواجهة، بعدما تحول تبادل الضربات إلى نمط ثابت من العمليات العسكرية اليومية، بما يعكس انتقال الطرفين من محاولة فرض صدمة عسكرية سريعة إلى إدارة حرب استنزاف مفتوحة تتوسع جغرافيا وتتزايد كلفتها السياسية والاقتصادية.

وتشير الضربات الأميركية المتواصلة لليوم التاسع على التوالي، والردود الإيرانية التي تستهدف القواعد الأميركية والممرات البحرية إلى أن أيا من الطرفين لم يعد يراهن على حسم عسكري قريب، وإنما على إنهاك الخصم تدريجيا وإضعاف قدرته على مواصلة القتال أو تحمل تبعاته الداخلية.

وشنت القوات الأميركية موجة جديدة من الغارات على أهداف داخل إيران، قالت القيادة المركزية الأميركية إنها تستهدف تقليص قدرة طهران على تهديد الملاحة الدولية في مضيق هرمز، بينما تحدثت وسائل إعلام إيرانية عن استهداف مدن عدة بينها تبريز وجابهار وكوناراك وبندر الإمام الخميني، في مؤشر على اتساع رقعة العمليات واتساع بنك الأهداف.

لكن أهمية هذه الضربات لا تكمن فقط في حجمها، بل في الرسالة التي تحملها. فواشنطن تسعى إلى إقناع إيران بأن قدرتها على تهديد خطوط الطاقة والتجارة ستتعرض للتآكل تدريجيا، فيما تحاول في الوقت نفسه تجنب الانزلاق إلى حرب برية واسعة قد تحول المواجهة إلى مستنقع إستراتيجي جديد في الشرق الأوسط.

لم يعد السؤال من يحقق الانتصار، بل من يستطيع تحمل كلفة حرب طويلة تستنزف الموارد والقدرات والإرادة السياسية

في المقابل، تبدو إيران أكثر اقتناعا بأن ميزان القوى التقليدي لا يسمح لها بمواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة، ولذلك تعتمد إستراتيجية مختلفة تقوم على توزيع الضغوط عبر استهداف القواعد الأميركية المنتشرة في المنطقة، وإبقاء جميع ساحات النفوذ مفتوحة في العراق وسوريا والخليج والبحر.

وأعلن الحرس الثوري استهداف قاعدة علي السالم الجوية في الكويت، إضافة إلى هجوم استهدف طائرة أميركية في مطار العقبة الأردني، وعمليات ضد قاعدة التنف في سوريا، في محاولة لإظهار أن الوجود العسكري الأميركي في المنطقة بأكمله أصبح جزءا من ميدان المعركة، وليس فقط القوات المشاركة مباشرة في العمليات ضد إيران.

وتعكس هذه الإستراتيجية إدراكا إيرانيا بأن استنزاف الولايات المتحدة لا يتحقق عبر إلحاق هزيمة عسكرية بها، وإنما عبر رفع الكلفة الأمنية والسياسية لاستمرار انتشارها العسكري في الشرق الأوسط، بما يزيد الضغوط الداخلية على الإدارة الأميركية ويجعل استمرار الحرب أكثر تعقيدا.

ويعزز هذا الاتجاه ارتفاع الخسائر الأميركية، بعدما أعلنت واشنطن مقتل جندي أميركي خلال التعامل مع طائرة مسيرة إيرانية في شمال العراق، ليرتفع عدد قتلاها منذ اندلاع الحرب إلى 17 عسكريا، إضافة إلى أكثر من 420 مصابا.

ورغم أن هذه الأرقام لا تمثل خسائر كبيرة بالمعايير العسكرية، فإنها تحمل وزنا سياسيا داخل الولايات المتحدة، حيث تصبح الإدارة مطالبة بإثبات قدرتها على حماية قواتها، دون الانجرار إلى تصعيد واسع قد يفرض تدخلا عسكريا أكبر مما كانت تخطط له.

وتدرك طهران أن قدرتها على الصمود لا تعتمد فقط على ما تملكه من صواريخ وطائرات مسيرة، وإنما أيضا على قدرتها على إبقاء الاقتصاد العالمي تحت الضغط، وهو ما يفسر انتقال المواجهة بصورة متزايدة إلى المجال البحري.

وإعلان الحرس الثوري تعرض ناقلتي نفط لأضرار أثناء عبورهما أحد الممرات الجنوبية في مضيق هرمز، وتحذيره من أن الممر سيظل غير آمن ما دامت العمليات الأميركية مستمرة، يعكس محاولة واضحة لإدخال أمن الطاقة ضمن معادلة الردع المتبادل.

وبغض النظر عن دقة الرواية الإيرانية، فإن الرسالة الإستراتيجية تبدو أكثر أهمية من الحدث نفسه؛ إذ تريد طهران إقناع خصومها بأن استمرار الحرب لن يقتصر على استنزافها، بل سيمتد إلى الاقتصاد العالمي وأسواق النفط وسلاسل الإمداد الدولية.

وقد بدأت الأسواق بالفعل في استيعاب هذه الرسائل، مع تجاوز سعر خام برنت مستوى 90 دولارا للبرميل، في وقت عززت تقارير عن حريق في سفينة قرب السواحل العمانية المخاوف من اتساع المخاطر التي تواجه الملاحة في الخليج.

ويشير ذلك إلى أن الحرب تجاوزت بعدها العسكري المباشر، لتتحول إلى صراع على إدارة المخاطر الاقتصادية العالمية، حيث أصبح مضيق هرمز جزءا من أدوات الضغط المتبادل، تماما كما أصبحت القواعد العسكرية والأجواء الإيرانية جزءا من ميدان العمليات.

وفي المقابل، تبدو الولايات المتحدة متمسكة بسياسة تقوم على استنزاف القدرات العسكرية الإيرانية تدريجيا، عبر ضرب مراكز القيادة ومنصات الصواريخ والبنية المرتبطة بالعمليات البحرية، مع تجنب أي خطوات قد تستدعي احتلالا بريا أو تغييرا مباشرا للنظام الإيراني.

سيناريو الحرب الشاملة يعود بقوة

انضمام إيكواس يعزز مشروع أنبوب الغاز المغربي - النيجيري

الرباط - منح انضمام المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس) إلى مشروع أنبوب الغاز المغربي - النيجيري دفعة سياسية ومؤسسية جديدة لأحد أكبر مشاريع البنية التحتية للطاقة في القارة الأفريقية، في خطوة لا تعزز فرص تنفيذ المشروع فحسب، بل تعكس أيضاً تحوله من مبادرة ثنائية بين الرباط وأبوجا إلى مشروع إقليمي تتبناه المؤسسة الاقتصادية الأهم في غرب أفريقيا.

ويُنظر إلى هذا التطور بوصفه بداية مرحلة جديدة قد تعيد رسم خريطة النفوذ الاقتصادي والطاقي في المنطقة، وتمنح دول غرب أفريقيا أدوات إضافية لتعزيز التكامل الاقتصادي ورفع مكانتها في سوق الطاقة العالمية.

وجاء الإعلان عن انضمام "إيكواس" خلال القمة العادية لرؤساء دول وحكومات المنظمة التي استضافتها العاصمة السيراليونية فريتاون، حيث جرى توقيع الاتفاق الحكومي الدولي الذي يؤطر تطوير مشروع أنبوب الغاز الأفريقي الأطلسي بين نيجيريا والمغرب، في خطوة اعتبرها مراقبون الإطار القانوني والمؤسساتي الذي كان المشروع بحاجة إليه للانتقال إلى مراحل أكثر تقدماً.

ويُعد المشروع، الذي يعود إطلاقه إلى ديسمبر 2016 خلال زيارة العاهل المغربي الملك محمد السادس إلى نيجيريا، أحد أكثر مشاريع الطاقة طموحاً في القارة.

ولا تقتصر أهمية المشروع على نقل الغاز، بل تمتد إلى إنشاء شبكة طاقة إقليمية قادرة على تزويد الدول التي يعبرها بإمدادات مستقرة من الغاز الطبيعي، بما يدعم خطط التنمية الصناعية وتوليد الكهرباء، ويحد من الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية الأعلى كلفة والأكثر تلويثاً للبيئة.

ويرى مراقبون أن انضمام "إيكواس" يضفي على المشروع بعداً سياسياً وإستراتيجياً أكبر، إذ ينتقل من اتفاق بين دولتين إلى مشروع يحظى بمظلة إقليمية، بما يعزز فرص تنسيق السياسات الطاقية بين دول غرب أفريقيا، ويسهل عمليات التمويل والتفاوض مع المؤسسات المالية الدولية والشركاء الدوليين.

كما يمنح المشروع للمغرب موقعاً محورياً في معادلة الطاقة الأفريقية، إذ يرسخ دوره بوصفه بوابة لربط الموارد الطبيعية في غرب أفريقيا بالأسواق الأوروبية، مستفيداً من بنيته التحتية المتطورة واتفاقياته التجارية مع الاتحاد الأوروبي وشبكات الربط الطاقي التي يعمل على تطويرها. وبهذا المعنى، لا يكتفي المغرب بتعزيز مكانته كممر للطاقة، بل يسعى إلى ترسيخ نفسه مركزاً إقليمياً لتجميع وتوزيع الغاز، بما يوسع نفوذه الاقتصادي والدبلوماسي داخل القارة وفي محيطها المتوسطي.

أما بالنسبة إلى نيجيريا، صاحبة أحد أكبر احتياطيات الغاز في العالم، فيفتح المشروع أمامها منفذاً إستراتيجياً جديداً لتصدير الغاز، بعيداً عن التحديات الأمنية التي تواجه بعض مسارات التصدير التقليدية، كما يوسع خياراتها في الوصول إلى الأسواق الدولية. ولا تقتصر دلالات انضمام "إيكواس" على الجوانب المؤسسية، بل تكشف أيضاً عن تصاعد البعد الجيوسياسي للمشروع. فأنبوب الغاز المغربي - النيجيري لم يعد مجرد ممر لنقل الطاقة، وإنما تحول إلى أداة لإعادة تشكيل موازين النفوذ في غرب أفريقيا.

● قمة إيكواس ورؤية محمد السادس: تطابق إستراتيجي ص2

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

جماعة الحوثي: ماذا تريد؟ ولماذا فشل العالم في التعامل معها؟

منذ اندلاع الحرب اليمنية قبل أكثر من عقد ظل السؤال حول جماعة الحوثي يتكرر بصيغ مختلفة: ماذا تريد هذه الجماعة ولماذا فشل العالم في احتوائها أو فهمها؟ ومع كل جولة تصعيد جديدة، يتضح أن الإجابة ليست بسيطة، لأن الحوثي لم يعد مجرد فاعل محلي، بل تحوّل إلى ظاهرة سياسية وعقائدية تتجاوز حدود اليمن لتلامس توازنات الإقليم بأسره.

التصعيد الأخير، الذي جاء بعد فترة تهدئة دامت منذ ربيع 2022، يكشف أن الخلافات الداخلية بين طرفي النزاع ليست سوى واجهة لصراع أعمق يرتبط بالمحور الإيراني وبالتحولات الجيوسياسية في المنطقة. فالحوثي، الذي يرفع اليوم شعار "الحصار بالحصار والمطار بالمطار"، لا يتحرك فقط بدافع محلي، بل كجزء من إستراتيجية إيرانية أوسع تهدف إلى تخفيف الضغط عن طهران في مواجهة الولايات المتحدة وحلفائها.

نشأت جماعة الحوثي في تسعينات القرن الماضي في محافظة صعدة شمال اليمن كحركة دينية ذات طابع زيدي تسعى لإحياء الفكر الإمامي بعد عقود من التهميش السياسي والاجتماعي، لكن مع اندلاع أولى المواجهات المسلحة ضد الحكومة اليمنية عام 2004 تحوّلت الحركة من تيار ديني إلى مشروع سياسي وعسكري يحمل طموحًا سلطويًا واضحًا.

اعتمد الحوثيون على خطاب مزدوج يجمع بين الهوية المذهبية والخطاب الثوري المقاوم، مستلهمين النموذج الإيراني في المزج بين العقيدة والسياسة. ومع مرور الوقت توسعت الجماعة من صعدة إلى صنعاء، مستفيدة من ضعف الدولة المركزية ومن الانقسامات داخل النخبة اليمنية ومن حالة الفوضى التي أعقبت ثورات الربيع العربي.

في هذا السياق لم يعد الحوثي مجرد حركة احتجاجية، بل أصبح كيانا سياسيا وعسكريا يمتلك مؤسسات موازية للدولة وجيشا منظما وإعلاما تعبويا وشبكة علاقات إقليمية تمتد إلى طهران وبيروت ودمشق، ونجح في بناء نموذج "دولة داخل الدولة" مستندا إلى فكرة أن الشرعية تُستمد من المقاومة لا من صناديق الاقتراع.

أهداف الحوثي تتجاوز السيطرة على صنعاء أو فرض نفوذه في الشمال، فالجماعة تسعى إلى تغيير طبيعة الدولة اليمنية نفسها وتحويلها إلى كيان تابع للمحور الإيراني يقوم على فكرة "الولاية" ورفض النظام الجمهوري الذي تأسس بعد ثورة 1962. ومن خلال خطابها السياسي والعسكري تسعى الجماعة إلى فرض معادلة جديدة في المنطقة، تقوم على الرد بالحصار مقابل الحصار، والمطار مقابل المطار، والميناء مقابل الميناء، بما يعني تهديد الممرات البحرية والمنشآت الحيوية في الخليج لتخفيف الضغط عن إيران.

رغم عشرات المبادرات الأممية والإقليمية لم ينجح المجتمع الدولي في احتواء الحوثيين أو دفعهم نحو تسوية دائمة. فقد تعاملت الأمم المتحدة والدول الكبرى مع الحوثي بوصفه طرفا سياسيا يمكن دمجه في العملية السلمية، متجاهلة طبيعته العقائدية التي لا تؤمن بالتعددية أو المشاركة. المفاوضات التي جرت في الكويت وجنيف والرياض ركزت على تقاسم السلطة بينما كان الحوثي يسعى إلى احتكارها.

كما أن المقاربة الإنسانية التي اعتمدتها المنظمات الدولية، رغم أهميتها، ساهمت في ترسيخ نفوذ الجماعة، إذ استخدم الحوثيون المساعدات كأداة للسيطرة على السكان وتحويل المعاناة إلى وسيلة ابتزاز سياسي. ومنذ توقيع الاتفاق النووي عام 2015 فضلت القوى الغربية تجنب مواجهة مباشرة مع إيران، ما انعكس على تعاملها مع الحوثيين، فكلما ارتفع التوتر بين واشنطن وطهران استخدم الحوثي اليمن كورقة ضغط دون أن يواجه ردعا حقيقيا. حتى بعد تصنيف الجماعة كمنظمة إرهابية ظل التنفيذ العملي لهذا التصنيف محدودًا بسبب الخشية من تعقيد جهود الإغاثة أو تعطيل المفاوضات، وهكذا وجد الحوثي نفسه في منطقة رمادية بين الشرعية والتمرد، مستفيدا من ضعف الإرادة الدولية وتضارب المصالح الإقليمية.

الحوثي تحوّل إلى ظاهرة عقائدية مرتبطة بالمحور الإيراني يوظف المعاناة والهدن لتوسيع نفوذه وتهديد الممرات البحرية

ولا يمكن فهم سلوك الحوثي بمعزل عن السياق الإقليمي، فالجماعة تمثل اليوم إحدى أذرع إيران في المنطقة إلى جانب حزب الله في لبنان والميليشيات الموالية لها في العراق، ومن خلال هذه الشبكة تسعى طهران إلى خلق توازن ردع غير مباشر مع الغرب عبر تهديد الممرات البحرية ومصادر الطاقة. في المقابل ترى السعودية والإمارات أن استمرار الحوثي في السيطرة على صنعاء يشكل خطرا إستراتيجيا على أمنهما القومي، خصوصا مع قدرة الجماعة على استهداف العمق الخليجي بالصواريخ والطائرات المسيّرة، لذلك فإن أي تسوية لا تضمن نزع سلاح الحوثي تبقى غير مقبولة بالنسبة لهما.

مع تصاعد التوتر الحالي يمكن تصور عدة سيناريوهات لمستقبل الصراع، منها عودة الحرب الشاملة إذا استمر الحوثي في استهداف السعودية ورفض أي تسوية، أو تدخل دولي مباشر في حال تهديد الملاحة في باب المندب، أو تسوية جزئية تضمن بقاء الحوثي في الشمال مقابل وقف الهجمات لكنها لن تعالج جذور الأزمة، أو إعادة بناء الدولة اليمنية وهو السيناريو الأكثر صعوبة.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

قمة إيكواس ورؤية محمد السادس للعمل الأفريقي المشترك: تطابق إستراتيجي لتعزيز الاندماج القاري

القمة تعكس توجها متناميا نحو بناء حلول أفريقية للتحديات الأمنية والاقتصادية

قمة المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس) في فريتاون تبرز بوصفها محطة لإعادة تقييم مستقبل العمل الأفريقي المشترك، والبحث عن آليات أكثر فاعلية لتعزيز التكامل الإقليمي وتحقيق التنمية المستدامة.

البراق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

الرباط - تنعقد قمة فريتاون أو الدورة العادية التاسعة والستون لمؤتمر رؤساء دول وحكومات المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس) اليوم في ظرفية تاريخية استثنائية بالغة الحساسية والتعقيد، لتشكل محطة مفصلية حاسمة في مسار العمل الأفريقي المشترك، وتجسيداً حياً لوعي قاري متجدد يضع التضامن الفعال والتعاون "جنوب-جنوب" في صدارة أولوياته الإستراتيجية والجيوسياسية.

إن استضافة سيراليون لهذا المحفل الإقليمي والدولي رفيع المستوى لا تعكس فقط نجاحها في استعادة عمقها الدبلوماسي وتأكيد ريادتها السياسية بعد عقود من التحديات الداخلية، بل تترجم أيضاً رغبة جماعية صادقة لدى دول غرب أفريقيا والقارة بأسرها في صياغة رؤية أفريقية شاملة ومستقلة تنبع من الداخل وتتحلل من الإملاءات الخارجية.

وتطمح هذه الرؤية إلى امتلاك القدرة والشجاعة لتحويل التحديات البنيوية والأزمات الراهنة إلى فرص واعدة ومستدامة للتكامل الاقتصادي، والاندماج الاجتماعي، والتنسيق السياسي المحكم.

وفي ظل عالم يموج بالتحولات الجيوسياسية المتسارعة والاستقطابات الدولية الحادة، تأتي هذه القمة لترسخ عقيدة سياسية ثابتة مفادها أن الحلول للأزمات الأفريقية يجب أن تُصاغ وتُنفذ بأيادٍ أفريقية خالصة، من خلال تفعيل مقاربات تشاركية ومؤسساتية تتجاوز الحدود الجغرافية الضيقة والنزعات السيادية الضيقة، وتستند بقوة إلى وحدة المصير المشترك والتاريخ الإنساني الموحد، بما يضمن صون السيادة الوطنية الكاملة للدول، وتحقيق تطلعات الشعوب الأفريقية في التنمية المستدامة، والعيش الكريم، والرفاه الاقتصادي والاجتماعي.

وتجد هذه الرؤية التضامنية الطموحة ترجمتها العملية والواقعية في طبيعة وجاذبية الملفات الإقليمية الكبرى المطروحة فوق طاولة نقاش القادة وصناع القرار، والتي تتصدرها قضايا الحفاظ على السلم والأمن والاستقرار السياسي، ومواجهة التحديات الأمنية المعقدة في منطقة الساحل والصحراء ومكافحة الإرهاب، إلى جانب ضرورة إعادة بناء الجسور المتينة للحوار الدبلوماسي مع الدول التي تشهد تحولات انتقالية معقدة لضمان تماسك ووحدة البيت الأفريقي ومنع تصدعه.

بناء على ذلك، تشكل ملفات تفعيل القوة الاحتياطية المشتركة وتطوير آليات التدخل السريع، جنبا إلى جنب مع تحفيز معدلات التجارة البينية تحت مظلة منطقة التجارة الحرة القارية، وتطوير مشاريع البنية التحتية العملاقة العابرة للحدود، محاور ارتكاز أساسية وهيكلية لتعميق الاندماج الإقليمي المنشود والتحرر من التبعية الاقتصادية.

وفي هذا السياق المترابط يبرز بشكل جلي الدور الوازن والريادي للمملكة المغربية التي تحرص، منذ نيلها صفة عضو مراقب في المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا عام 2005، على مواكبة كافة هذه الجهود الإقليمية بنفس تضامني موصول، مستندة في ذلك إلى مقاربة حكيمة للملك محمد السادس.

تزاوج هذه الرؤية بتناغم شديد بين الدعم الدبلوماسي الملتزم بركائز القانون الدولي والشراكات التنموية والمشاريع المهيكلة الملموسة، مثل المبادرة الملكية الأطلسية لدول الساحل ومشروع أنبوب الغاز النيجيري - المغربي، مما يرسخ مكانة الرباط كشريك إستراتيجي موثوق، وعمق أفريقي صلب، وصمام أمان لتعزيز ركائز السلم الشامل والتنمية المستدامة والازدهار الاقتصادي في الفضاء الأطلسي وإقليم غرب أفريقيا ككل.

> الرؤية تزاوج بين الدعم الدبلوماسي الملتزم بركائز القانون الدولي والشراكات التنموية، مثل المبادرة الملكية الأطلسية

تبعا لذلك، يبرز توقيع الاتفاق الإستراتيجي في قمة فريتاون كالحدث الأبرز الذي يترجم بنجاح هذه الرؤية الملكية الرامية إلى تحقيق الاندماج الإقليمي الشامل في القارة الأفريقية. يمثل هذا التوافق قفزة نوعية تضع المملكة المغربية في قلب الديناميكية التنموية لدول المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا، وتؤسس لمرحلة جديدة ومتقدمة من التكامل الاقتصادي والطاقي بين الفضاءين الأفريقي والأطلسي.

بالتالي، يشكل الانخراط الجماعي لدول المنطقة في هذا المشروع المهيكل تحولا حاسما في مسار التعاون القاري، حيث تكرس الرباط موقعها كقاطرة حقيقية للتنمية ومحورا موثوقا لتوحيد جهود دول القارة.

بناء على ذلك، تبرز هذه المحطة كدليل قاطع على قدرة المغرب على صياغة تحالفات إستراتيجية متينة تبنى على الندية والمصالح المشتركة، وتفتح آفاقا واعدة لنهضة اقتصادية متكاملة تعود بالنفع المباشر على شعوب المنطقة بأسرها، وتضع أسسا صلبة لأفريقيا قادرة على استثمار مقدراتها بقرارات سيادية مستقلة.

وعلى الرغم من المقاربات الطموحة والجهود الحثيثة، لا يمكن قراءة مخرجات قمة فريتاون بمعزل عن تفكيك الإشكالات البنيوية المعقدة والأزمات المتشابكة التي باتت تواجه المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا؛ إذ يختبر التكتل الإقليمي اليوم تحديات جوهرية ترتبط بـ"نجاعة آلياته الزجرية".

وأظهرت العقوبات الاقتصادية الجماعية المعتمدة سلفاً حدودها الحمائية، وتحولت في أحيان كثيرة إلى عبء طال المعيش اليومي للشعوب دون أن تنجح في تقديم إجابات سياسية مستدامة للأزمات الانتقالية، وهو مأزق مؤسساتي يتعمق بفعل معضلة الارتهان المالي للمانحين الدوليين، مما يلقي بظلاله على استقلالية القرار الإقليمي ويجعل الفضاء الغرب-أفريقي مكشوفاً أمام الاستقطابات الجيوسياسية الحادة وصراع النفوذ الأجنبي العابر للقارات.

وعلاوة على هذه التصدعات الهيكلية، يواجه التكتل تحديات أمنية وبيئية غير نمطية ترتبط بتنامي ظاهرة الإرهاب والاستقواء المتزايد للجماعات المسلحة، والتي تتغذى بشكل مباشر على الانتشار غير المراقَب للسلاح وتدفقات الأسلحة والمعدات غير المشروعة عبر الحدود الهشة، وهو ما يتشابك بعمق مع تعقد معضلة الهجرة غير النظامية وتنامي شبكات الاتجار بالبشر والجريمة المنظمة العابرة للقارات؛ وهي أزمات لا تنفصل عن تداعيات التغيرات المناخية الحادة التي تضرب المنطقة من جفاف وتصحر وشح في الموارد المائية، مما يؤدي إلى تعميق أزمة الأمن الغذائي، وتغذية النزاعات المحلية حول الأرض والمراعي، وتوفير بيئة خصبة للاستقطاب والتطرف العنيف تدفع بآلاف الشباب نحو مسارات الهجرة القسرية أو الارتماء في أحضان التطرف.

إن هذا التداخل المعقد بين الهشاشة المؤسساتية، وانتشار السلاح، والتدفقات البشرية، والتهديدات البيئية، كشف عن قصور بنيوي في هندسة الدبلوماسية الوقائية للمنظمة وعجز آليات "الإنذار المبكر" عن احتواء التصدعات قبل تفاقمها، وهو ما يضع المنظمة أمام حتمية تاريخية للانخراط في مراجعة نقدية شجاعة لمنظومتها المرجعية، والانتقال الفعلي من منطق "إيكواس الحكومات" إلى أفق "إيكواس الشعوب"، عبر إقرار أدوات تمويل ذاتية وسيادية، وتبني مقاربات تصالحية مرنة ترتكز على مبادئ التضامن العضوي، بما يضمن استعادة التماسك الإقليمي وتحصين البيت الأفريقي من التجزئة والتدخلات الخارجية.

تتكامل الرؤية السياسية لقمة فريتاون من خلال مقاربة دبلوماسية هادئة ورصينة تسعى إلى تفكيك الأزمات المركبة وفق منطق الحوار البناء والاحتواء الإيجابي، حيث تصدرت طاولة النقاش ملفات جيوسياسية وأمنية بالغة التعقيد تتطلب بناء توافقات متينة؛ ويأتي في طليعة هذه الملفات ملف تدبير العلاقات مع دول الساحل الثلاث (مالي، النيجر، وبوركينا فاسو) بعد إعلان انسحابها من التكتل الإقليمي، حيث ركز القادة على أهمية إبقاء قنوات التواصل الدبلوماسي مفتوحة وتجنب سياسة المحاور، تفادياً لتعميق الانقسام وتغليباً لمصلحة الشعوب في الوحدة والاستقرار.

كما حظي المحور الأمني بنقاش معمق ومسؤول انصب على آليات تفعيل وتجهيز القوة الاحتياطية للمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا، ليس كأداة للردع العسكري العشوائي، بل

دور مغربي وازن في تحقيق الاندماج الإقليمي

كآلية وقائية ودفاعية مشتركة لمواجهة التهديدات العابرة للحدود وفي مقدمتها الإرهاب والجريمة المنظمة التي تستنزف مقدرات المنطقة.

ولم تقتصر هذه المباحثات على الجوانب السياسية والأمنية الصرفة، بل امتدت لتشمل هندسة التكامل الاقتصادي عبر الانتقال من التخطيط النظري إلى التمويل الفعلي عبر "بنك المشاريع" الإقليمي المندرج ضمن المخطط التوجيهي للبنية التحتية للمجموعة (ECOWAS Master Plan)، والذي يهدف إلى سد الفجوة التنموية عبر استثمارات ضخمة تُقدر بنحو 131 مليار دولار أميركي. ويحتوي هذا البنك الهيكلي على 201 مشروع إقليمي جامع، تتوزع جغرافياً وقطاعياً لتشمل 115 مشروعاً قطاعياً مخصصاً لمجال الطاقة والربط الكهربائي، ونحو 56 مشروعا إستراتيجيًا في قطاع النقل اللوجستي والبري، بالإضافة إلى 15 مشروعاً مهيكلاً للاقتصاد الرقمي و15 مشروعاً حيوياً لإدارة الموارد المائية العابرة للحدود.

وتتجسد هذه الأرقام في خطط تنفيذية فورية برعاية الأذرع المالية للمجموعة مثل بنك إيكواس للاستثمار والتنمية (EBID)، والذي اعتمد مؤخرا حزمة تمويلات استعجالية بقيمة تفوق 417 مليون دولار أميركي لتسريع الاندماج، ويأتي في مقدمتها تمويل المقطع الطرقي الخاص بالطريق العابر للصحراء بطول 123 كيلومتراً وبميزانية بلغت 260 مليون دولار لدعم حركة السلع، بالتوازي مع التوجه نحو إحداث صندوق تطوير البنية التحتية للغاز بقيمة 5 مليارات دولار لتأمين السيادة الطاقية الإقليمية.

وفي قلب هذه الإستراتيجية التمويلية برزت نقاشات فريتاون حول تطوير الكوريدورات البرية واللوجستية كأوردة حيوية للاستقرار والاندماج؛ وفي مقدمتها "كوريدور أبيدجان-لاغوس" الساحلي الذي يمتد على طول 1028 كيلومتراً ليربط بين خمس دول رئيسية ويستقطب أكثر من 75 في المئة من الأنشطة التجارية في غرب أفريقيا، إلى جانب "كوريدور فريتاون-ليبريا-غينيا" الجاري تحديثه لفك العزلة عن المراكز الحيوية. لا تُعامل هذه الكوريدورات في القمة كمجرد طرق معبدة، بل كأحزمة تنموية متكاملة ترتبط مباشرة بمنظومة الموانئ الاستشرافية وشبكات الربط البحري الإقليمي.

وجرى تدارس تطوير وتوسيع الموانئ المحورية مثل ميناء فريتاون الذكي، وميناء سان بيدرو، وميناء لاغوس العميق، لتتحول إلى منصات لوجستية قادرة على استيعاب الجيل الجديد من سفن الحاويات وتسهيل خطوط الملاحة المنتظمة بين دول غرب أفريقيا. وتتقاطع هذه البنية التحتية البحرية والبرية مع المبادرة الملكية المغربية الأطلسية التي توفر رؤية استشرافية متكاملة لربط هذه الموانئ بميناء الداخلة الأطلسي الضخم، مما يمنح دول الساحل الحبيسة منفذاً بحريًا إستراتيجيًا نحو الأسواق العالمية.

هذا التناغم بين الكوريدورات البرية والربط البحري يحول الممرات العابرة للحدود إلى شبكات ربط سيادية قادرة على تحجيم النزاعات الجيوسياسية، وجعل الاندماج واقعاً جغرافياً واقتصادياً معاشاً، وتحويل الحزام الرابط بين دول الساحل والفضاء الأطلسي إلى شريان حقيقي للتنمية الشاملة والاستقرار المستدام.

وثمة حقيقة واضحة تؤكد أن كافة السياسات الإقليمية والمشروعات البنيوية المطروحة على أجندة قمة فريتاون تُشكل امتداداً طبيعياً متناغماً، وتتطابق بشكل بنيوي مع الرؤية المتبصرة للملك محمد السادس، رائد العمل الأفريقي المشترك، والتي تجسدها السياسة الأفريقية الحكيمة للمملكة المغربية؛ وهي عقيدة قارية راسخة تجد ركائزها الفلسفية في كلام الملك محمد السادس بقمة أديس أبابا التاريخية.

وخاطب العاهل المغربي القادة الأفارقة مؤكداً أمانة العبقرية القارية: "فنحن، شعوب أفريقيا، نتوفر على الوسائل وعلى العبقرية، ونملك القدرة على تحقيق تطلعات شعوبنا"، مضيفا "ويحق لأفريقيا اليوم أن تعتز بمواردها وبتراثها الثقافي وقيمها الروحية، والمستقبل كفيل بتزكية هذا الاعتزاز الطبيعي من طرف قارتنا".

> القمة تترجم رغبة جماعية صادقة لدى دول غرب أفريقيا والقارة بأسرها في صياغة رؤية أفريقية شاملة ومستقلة تنبع من الداخل

وتترجم هذه التوجيهات الملكية التزام الرباط الموصول بالدعوة دوماً إلى التكامل والاندماج الاقتصادي، والتضامن القاري الفعال، والبحث الدؤوب عن "حلول أفريقية للمشاكل الأفريقية" برؤية جماعية مشتركة وثابتة.

ويتجلى هذا في حصيلة الزيارات التاريخية التي قام بها الملك محمد السادس لمختلف دول إقليم غرب أفريقيا وسائر ربوع القارة، وأسست لعهد جديد من الشراكات الإستراتيجية المتكافئة، وترجمتها حزمة من المشاريع المهيكلة الكبرى العابرة للحدود؛ وفي مقدمتها المشروع القاري الضخم لأنبوب الغاز النيجيري-المغربي الذي يعيد رسم خريطة الأمن الطاقي لـ13 دولة، بالتوازي مع مشروع الربط القاري الكهربائي العملاق الذي يسعى إلى دمج الشبكات الطاقية الأفريقية، فضلاً عن المشاريع الإستراتيجية المينائية الرائدة مثل ميناء الداخلة الأطلسي وميناء طنجة المتوسط، التي تُشكل واجهة حقيقية لتحفيز الربط البحري والتبادل التجاري البيني.

وفي هذا السياق المتكامل تتحول الصحراء المغربية بفضل المشاريع التنموية الكبرى إلى ممر لوجيستيكي عملاق وبوابة اقتصادية إستراتيجية تخدم بشكل مباشر مصالح وأمن شعوب المنطقة؛ حيث يتعزز هذا البعد الجغرافي والسياسي بـ"ممر محمد السادس للربط القاري الأفريقي إنجامينا - الداخلة"، الذي يشكل شرياناً برياً حيوياً يفك العزلة عن دول تشاد والنيجر وبوركينا فاسو ومالي، ويربطها بالعمق الأطلسي.

وتجد هذه الحركية الاقتصادية سنداً سياسياً متيناً في "دبلوماسية القنصليات" التي تشهدها الأقاليم الجنوبية للمملكة، والتي تعكس اعترافا دوليًا وأفريقيًا متزايدا بمغربية الصحراء، وتحول مدينتي العيون والداخلة إلى مراكز دبلوماسية واقتصادية وازنة لصناعة القرار والاستثمار القاري.

ولأن الاستقرار يظل شرطاً أساسياً وجوهرياً لإنجاح أي اندماج تنموي واقتصادي، تبرز المقاربة المغربية الشاملة التي تزاوج بذكاء بين الأبعاد الروحية والأمنية والدفاعية؛ حيث تضطلع إمارة المؤمنين بدور ريادي وازن في تجفيف منابع الفكر المتطرف ومكافحة التطرف العنيف، من خلال نشر قيم الإسلام المعتدل وتكوين الأئمة والخطباء الأفارقة في معهد محمد السادس، مما يوفر حصانة فكرية وروحية للمجتمعات الإقليمية من مخاطر الانقسام.

ويتكامل هذا البُعد الروحي والفكري مع تعاون أمني ودفاعي رفيع المستوى ومسؤول، يركز على تسيير قنوات التنسيق العسكري ومكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود والقرصنة البحرية لضمان سلامة المجالات الحيوية.

وتجد هذه المقاربة الجيوسياسية الشاملة ترجمتها المؤسساتية في "مسلسل الرباط للدول الأفريقية الأطلسية"، الذي انطلق بزخم قوي وكرسه إعلان الرباط 2022 كفضاء إستراتيجي لتأسيس منطقة سلام وازدهار، وصولاً إلى التبني الجماعي والواسع لإعلان كوتونو 2026، الذي زكى رسمياً الرؤية الملكية للأطلسي الأفريقي من خلال الالتزام بتطوير ممرات لوجستية خضراء، وتعزيز الأمن البحري، وتحديث البنيات المينائية لتأمين ولوج دول الساحل الحبيسة نحو الفضاء الأطلسي العالمي.

إن هذا التقاطع الإستراتيجي يعكس التفاف دول المنطقة حول الشراكة مع الرباط، ويؤكد أن أهداف ومساعي تكتل "إكواس" تصب في نفس الشريان التنموي والسيادي الذي يخطه المغرب لبناء أفريقيا قوية، واثقة، وممسكة بزمام مصيرها المشترك.

وتأسيساً على ما سبق، تقدم قمة فريتاون نموذجاً حياً وجلياً لجيل جديد من العمل الدبلوماسي القاري متعدد الأبعاد، الذي يتجاوز مقاربات التهدئة المؤقتة والحلول الظرفية الضيقة، ليؤسس لصياغة هندسة إستراتيجية شاملة وبنيوية ومستدامة تضع السيادة الوطنية والأمن القومي والازدهار المشترك في طليعة الأولويات القارية.

إن هذا التحول التاريخي المفصلي يثبت بالملموس والبرهان أن التحديات الجيوسياسية والأمنية المركبة في منطقة غرب أفريقيا والساحل لا يمكن تفكيكها أو استئصال جذورها العميقة إلا عبر تحويل الممرات والمجالات الجغرافية من بؤر للتوتر والهشاشة إلى شرايين حيوية ممتدة للتنمية المستدامة والرفاه والاندماج الاقتصادي المعاش.

قادة إيكواس.. رهان على المستقبل

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

كيف يستفيد حزب الله من الوضع الجديد في الشرق الأوسط؟

إعادة ترتيب أولويات إيران وتركيا وسوريا تمنح الحزب فرصة لإعادة التموضع

لم يعد مستقبل حزب الله يتحدد فقط بميزان القوى داخل لبنان أو بحجم الضربات الإسرائيلية التي تعرض لها، بل أصبح مرتبطا بإعادة تشكيل النظام الأمني في الشرق الأوسط بعد الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران. وبينما بدا الحزب، عقب خسائره العسكرية، في طريقه إلى انكماش أعادت التحولات الإقليمية إنتاج بيئة أكثر ملاءمة لبقائه.

بيروت - لم يمض وقت طويل على اعتبار حزب الله الخاسر الأكبر في التحولات التي شهدتها المنطقة خلال العامين الماضيين. فالضربات الإسرائيلية الواسعة التي استهدفت قياداته العسكرية والسياسية، إلى جانب سقوط نظام الرئيس السوري السابق بشار الأسد، بدت وكأنها تنهي مرحلة امتلك فيها الحزب نفوذا عسكريا وإقليميا غير مسبوق. لكن المشهد الذي أفرزته الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران، وما تبعها من مراجعات في أولويات القوى الإقليمية، أعاد توزيع مراكز الثقل في المنطقة، ومنح الحزب هامشا جديدا للمناورة، ليس لأنه استعاد قدراته السابقة، وإنما لأن البيئة الاستراتيجية المحيطة به أصبحت أكثر تعقيدا بالنسبة إلى خصومه.

> **حزب الله وجد نفسه يستفيد من إعادة رسم خرائط الأمن الإقليمي لأن خصومه وحلفاءه أعادوا تعريف مصالحهم**

ولم تكن المواجهة الأميركية – الإيرانية مجرد جولة عسكرية، بل شكلت نقطة تحول في العقيدة الأمنية الإيرانية. فبعد سنوات كانت فيها طهران تركز على إدارة التهديدات في محيطها الإقليمي عبر شبكة حلفائها، باتت ترى أن الخطر الرئيسي يتمثل في المواجهة المباشرة مع إسرائيل المدعومة أميركيا. وهذا التحول فرض إعادة ترتيب أولوياتها الدفاعية، بحيث أصبحت الجبهات القريبة من إسرائيل تكتسب أهمية أكبر من أي وقت مضى.

وفي هذا السياق، ارتفعت القيمة الاستراتيجية لحزب الله داخل الحسابات الإيرانية. فلم يعد مجرد إحدى أذرع "محور المقاومة"، بل تحول إلى عنصر أساسي في منظومة الردع التي تراهن عليها طهران لتعويض ما تعرضت له من استنزاف مباشر. وبات وجود قوة عسكرية فاعلة على الحدود الشمالية لإسرائيل يمثل، من المنظور الإيراني، جزءا من الأمن القومي الإيراني نفسه، وليس مجرد ورقة نفوذ خارجية يمكن التفاوض عليها بسهولة.

ولهذا لم يعد مستغربا أن تصر طهران على إدراج الملف اللبناني ضمن أي حوار مع واشنطن، وأن تربط بين مستقبل التهدئة في لبنان وبين أي تفاهمات أوسع بشأن العلاقة مع الولايات المتحدة. كما تعكس تصريحات المسؤولين الإيرانيين خلال الأشهر الأخيرة انتقال الحزب من موقع الحليف إلى موقع الشريك في معادلة الردع الجديدة، بما يجعل المساس بقدراته العسكرية مسألة تتجاوز الساحة اللبنانية إلى الحسابات الإيرانية الأشمل.

ويجعل هذا الواقع مشاريع نزع سلاح حزب الله أكثر تعقيدا. فبينما تعتبر إسرائيل أن إنهاء القوة العسكرية للحزب شرط أساسي لإعادة صياغة التوازن الأمني على حدودها الشمالية، تنظر إيران إلى الحفاظ على هذه القوة باعتباره أحد الضمانات الرئيسية لمنع تكرار سيناريو المواجهة المباشرة معها. ومن ثم فإن أي محاولة لفرض نزع السلاح بالقوة قد تتحول إلى عامل إضافي لتفجير التوتر بين واشنطن وطهران، وليس مجرد ملف لبناني داخلي.

وفي المقابل، تجد الولايات المتحدة نفسها أمام معادلة دقيقة. فهي لا تتخلى عن التزامها بأمن إسرائيل، لكنها تدرك أيضا أن أولوياتها الاستراتيجية أصبحت أكثر اتساعا، وتشمل حماية الملاحة في الخليج، وضمان استقرار أسواق الطاقة، ومنع اندلاع مواجهة إقليمية شاملة قد تكون كلفتها أعلى من أي مكسب يمكن تحقيقه في لبنان.

ومن هذا المنطلق، باتت واشنطن تتعامل مع ملف حزب الله ضمن سلة تفاوضية أوسع مع إيران، وليس باعتباره قضية منفصلة. فنجاح أي تفاهم مع طهران قد ينعكس على أمن مضيق هرمز وأسواق النفط، بينما قد يؤدي انهياره إلى إعادة فتح جبهات متعددة في المنطقة، من بينها الجبهة اللبنانية، وهو ما يفسر الحذر الأميركي في إدارة هذا الملف.

ولا تقتصر التحولات على إيران وحدها، إذ تشهد السياسة التركية بدورها مراجعة لخرائط التهديد. فالتوتر المتصاعد مع إسرائيل دفع أنقرة إلى توسيع مفهوم أمنها القومي، بحيث لم يعد يقتصر على حدودها الجنوبية، وإنما أصبح يشمل التطورات في سوريا ولبنان وشرق المتوسط.

وتعكس تصريحات الرئيس رجب طيب أردوغان، التي ربط فيها أمن تركيا بما يجري في حلب ودمشق وبيروت، هذا التحول في التفكير الاستراتيجي. فأنقرة باتت تنظر إلى تمدد النفوذ الإسرائيلي في المشرق باعتباره تحديا مباشرا لمصالحها، وليس مجرد قضية تخص الدول العربية.

ولا يعني ذلك وجود تقارب سياسي أو تحالف مباشر بين تركيا وحزب الله، فالفجوة الأيديولوجية والسياسية بين الطرفين لا تزال قائمة، لكن تلاقي المصالح في مواجهة تمدد النفوذ الإسرائيلي يخلق بيئة تقل فيها فرص تشكل اصطفاف إقليمي واسع يستهدف الحزب. فكلما تصاعدت الخلافات التركية – الإسرائيلية، تراجعت احتمالات انخراط أنقرة في ترتيبات أمنية إقليمية يكون هدفها الرئيسي محاصرة حزب الله.

أما في سوريا، فقد جاءت التطورات على خلاف معظم التوقعات. فبعد وصول الرئيس أحمد الشرع إلى السلطة، ساد اعتقاد بأن العلاقة مع حزب الله ستدخل مرحلة صدام مفتوح، بالنظر إلى الإرث الثقيل الذي خلفته سنوات الحرب السورية. لكن الوقائع الميدانية دفعت دمشق الجديدة إلى تبني مقاربة أكثر براغماتية.

تعتبر السلطات السورية أن التحديات الأكثر إلحاحا تتمثل في تثبيت الاستقرار الداخلي، ومنع عودة تنظيم داعش، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وهي ملفات تستنزف قدراتها السياسية والعسكرية. ولذلك فإن فتح مواجهة مباشرة مع حزب الله لا يبدو خيارا يخدم أولوياتها الحالية، خاصة في ظل الحاجة إلى تجنب أي صراع إقليمي إضافي قد يعرقل جهود إعادة الإعمار.

ولا يعني ذلك عودة العلاقة إلى ما كانت عليه في عهد الأسد، لكنه يعني أن الحزب لم يفقد بالكامل عمقه السوري كما كان متوقعا. فالمرونة التي تبديها دمشق الجديدة تقلل من احتمالات تحوله إلى هدف مباشر للسلطة السورية، وتمنحه مساحة حركة أكبر مما كانت تشير إليه التقديرات الأولى بعد سقوط النظام السابق.

ورغم هذه المتغيرات، لا تزال التحديات الداخلية التي تواجه حزب الله كبيرة. ففي لبنان تتصاعد المطالب بحصر السلاح بيد الدولة، ويواصل الرئيس جوزيف عون التأكيد على ضرورة إنهاء ازدواجية القرار العسكري وتعزيز سلطة المؤسسات الرسمية، فيما تواصل إسرائيل تنفيذ عمليات عسكرية متقطعة لمنع الحزب من استعادة كامل قدراته.

غير أن الفارق الجوهري مقارنة بالمرحلة السابقة يكمن في أن مستقبل الحزب لم يعد يقرره الداخل اللبناني وحده، ولا حتى المواجهة مع إسرائيل فقط، بل أصبح مرتبطا بتشابك ملفات إقليمية تشمل المفاوضات الأميركية – الإيرانية، والتنافس التركي – الإسرائيلي، ومستقبل سوريا، وأمن الخليج، وحتى حركة التجارة والطاقة العالمية. وهو ما يجعل أي قرار يتعلق بالحزب جزءا من معادلة إقليمية معقدة يصعب فصل عناصرها عن بعضها البعض.

وفي المقابل، تبدو إسرائيل أمام واقع أكثر تعقيدا مما كانت تراهن عليه. فقد نجحت في إضعاف البنية العسكرية للحزب وإلحاق خسائر مؤثرة بقيادته، لكنها لم تتمكن من إخراجه من معادلات الأمن الإقليمي. بل إن التطورات اللاحقة أعادت تعريف دوره، ليصبح بالنسبة إلى إيران أحد أهم عناصر الردع، وبالنسبة إلى أطراف إقليمية أخرى جزءا من التوازنات التي يصعب تجاوزها عند رسم خرائط النفوذ الجديدة.

تغير خرائط النفوذ يمنح الحزب فرصة لإعادة ترتيب أوراقه

ومن ثم فإن مستقبل حزب الله لن يتحدد فقط بقدرته على إعادة بناء بنيته العسكرية والتنظيمية، بل أيضا بمدى استمرار البيئة الإقليمية الحالية. فإذا بقيت المواجهة بين إيران وإسرائيل مفتوحة، واستمر التوتر بين أنقرة وتل أبيب، وظلت دمشق منشغلة بأولوياتها الداخلية، فمن المرجح أن يحتفظ الحزب بقيمة استراتيجية تتجاوز حجم قوته الفعلية على الأرض.

ويبدو أن الشرق الأوسط يدخل بالفعل مرحلة يعاد فيها تعريف التحالفات والخصومات وفق حسابات الأمن القومي أكثر من الاعتبارات الأيديولوجية. وفي خضم هذه التحولات وجد حزب الله فرصة لإعادة التموضع، لا لأنه خرج منتصرا من الحروب الأخيرة، وإنما لأن إعادة ترتيب أولويات القوى الإقليمية جعلت احتواءه أكثر صعوبة، وربطت مستقبله بتوازنات الشرق الأوسط بأكمله، أكثر مما ربطته بالساحة اللبنانية وحدها.

ما بعد حل حكومة حماس.. من يدير غزة؟

نقل الإدارة لا يعني انتهاء نفوذ حماس في القطاع

غزة - أعلنت حركة حماس حل حكومتها في قطاع غزة ونقل كامل صلاحياتها الإدارية إلى اللجنة الوطنية لإدارة غزة، في خطوة قالت إنها تأتي في إطار تهيئة الظروف للمرحلة الانتقالية وإزالة الذرائع التي تعرقل تنفيذ التفاهمات الخاصة بمستقبل القطاع. غير أن هذه الخطوة، رغم رمزيتها السياسية، أعادت طرح سؤال أكثر تعقيداً من مجرد تغيير الجهة الإدارية: من سيدير غزة فعليا في المرحلة المقبلة؟ وهل يمثل حل حكومة حماس بداية انتقال حقيقي للسلطة، أم مجرد تعديل في الشكل الإداري من دون تغيير في موازين القوى؟

ويأتي إعلان الحركة في وقت لا تزال فيه ترتيبات ما بعد الحرب تواجه عقبات سياسية وأمنية كبيرة، سواء بسبب استمرار الخلافات بين إسرائيل وحماس بشأن آليات تنفيذ التفاهمات، أو نتيجة التعقيدات المرتبطة بالجهة التي ستتولى إدارة القطاع وإعادة إعماره.

وتقول حماس إن قرارها يتضمن حل لجنة الطوارئ التي أدارت غزة منذ أكتوبر 2023، ونقل الصلاحيات إلى اللجنة الوطنية لإدارة غزة، وهي هيئة تضم تكنوقراطاً فلسطينيين أُنشئت مطلع عام 2026 بموجب ترتيبات أشرف عليها ما يُعرف بـ"مجلس السلام".

كما أكدت أن عملية التسليم عُرضت على الفصائل الفلسطينية ووجهاء العشائر، وبحضور ممثل عن الأمم المتحدة، وأن الطواقم الفنية ستواصل عملها مؤقتاً لضمان استمرار تقديم الخدمات العامة.

وتسعى الحركة من خلال هذه الخطوة إلى إظهار استعدادها للتخلي عن الإدارة المدنية للقطاع، في محاولة لتخفيف الضغوط الدولية والإقليمية التي ربطت أي ترتيبات لإعادة إعمار غزة بوجود إدارة مدنية جديدة لا تخضع مباشرة لسيطرة حماس.

وفي الوقت نفسه تريد تأكيد أنها أوفت بأحد البنود المتعلقة بنقل السلطة الإدارية، مع الإبقاء على موقفها الرافض للربط بين هذه الخطوة ونزع سلاحها في المرحلة الحالية.

لكن الإعلان لم ينه الجدل، بل فتح الباب أمام أسئلة جديدة حول طبيعة اللجنة التي ستدير القطاع، وحجم الصلاحيات التي ستتمتع بها، ومدى قدرتها على العمل في ظل استمرار الحرب والخلافات السياسية.

ورغم الإعلان عن نقل الصلاحيات، لا تزال اللجنة الوطنية لإدارة غزة عاجزة عن مباشرة مهامها داخل القطاع، بسبب اعتراضات إسرائيلية حالت دون دخول أعضائها إلى غزة، وهو ما يجعل انتقال السلطة حتى الآن انتقالاً نظرياً أكثر منه واقعاً عملياً.

وتضم اللجنة خمسة عشر تكنوقراطياً فلسطينياً، لكنها لا تستمد شرعيتها من انتخابات أو تفويض شعبي مباشر، بل تعمل ضمن هيكل إداري يتبع مجلس السلام، الأمر الذي يثير تساؤلات بشأن مدى استقلاليتها وقدرتها على اتخاذ قرارات تنسجم مع أولويات السكان المحليين.

وفي ظل هذا الواقع تستمر المؤسسات الإدارية والفنية القائمة في تسيير الخدمات اليومية، بينما يبقى مستقبل الإدارة الفعلية للقطاع رهناً بالتفاهمات السياسية والأمنية التي لم تُحسم بعد.

ويبرز الخلاف الأساسي بين حماس والجهات الراعية للترتيبات الجديدة حول أولوية نزع السلاح.

ففي حين تصر إسرائيل، ويحظى موقفها بدعم مجلس السلام، على أن يكون تفكيك القدرات العسكرية لحماس الخطوة الأولى قبل استكمال أي انتقال سياسي أو إداري، تتمسك الحركة بأن أي نقاش بشأن السلاح يجب أن يأتي في إطار تسوية سياسية شاملة تضمن الحقوق الفلسطينية، لا باعتباره شرطاً مسبقاً للدخول في المرحلة الانتقالية. وترى حماس أن تجارب إنهاء النزاعات في مناطق أخرى أظهرت أن نزع السلاح جاء بعد التوصل إلى ضمانات سياسية، وليس قبلها، وهو ما تعتبره أساساً لأي اتفاق مستقبلي.

وبذلك، يصبح نقل الإدارة المدنية خطوة منفصلة عن الملف العسكري، بينما تصر الأطراف الأخرى على ربط الملفين معاً، وهو ما يبقي عملية الانتقال معلقة.

> **رغم الإعلان عن نقل الصلاحيات، لا تزال اللجنة الوطنية لإدارة غزة عاجزة عن مباشرة مهامها بسبب اعتراضات إسرائيلية**

ورغم التركيز على قرار حماس، تتجه الأنظار إلى مجلس السلام باعتباره الجهة التي تشرف على اللجنة الوطنية لإدارة غزة، وتضع الإطار العام للمرحلة المقبلة.

ويثير المجلس جدلاً واسعاً، إذ يرى منتقدوه أنه يركز على إدارة الأزمة أكثر من معالجة جذورها السياسية، وأن هيكليته لا تمنح الفلسطينيين دوراً حقيقياً في صناعة القرار، بل تجعل المؤسسات الجديدة مرتبطة بإدارة دولية تتولى الإشراف على المرحلة الانتقالية.

كما يواجه المجلس انتقادات بسبب غياب التمثيل الفلسطيني المباشر في بنيته، وهو ما يثير مخاوف من أن تتحول إدارة غزة إلى نموذج يقوم على الإشراف الخارجي أكثر مما يستند إلى المؤسسات الفلسطينية.

وفي المقابل يرى مؤيدو هذا النموذج أن وجود إدارة تكنوقراطية مستقلة قد يسهم في تسريع إعادة الإعمار واستعادة الخدمات الأساسية بعيداً عن الانقسامات السياسية، شريطة توافر الظروف الأمنية التي تمكنها من أداء مهامها.

وعلى أرض الواقع، لا يبدو أن إعلان حل حكومة حماس أحدث تغييراً فورياً في موازين القوى داخل القطاع. فالحركة لا تزال تحتفظ بنفوذ واسع على المستويين التنظيمي والأمني، بينما لم تتمكن اللجنة الجديدة من تسلم مهامها بصورة فعلية. كما أن السلطة الفلسطينية ليست جزءاً مباشراً من الإدارة الجديدة، في حين لم تحسم إسرائيل موقفها النهائي من السماح للجنة بالعمل داخل غزة.

ويعني ذلك أن القطاع يعيش مرحلة انتقالية غير مكتملة؛ فلم تعد حماس ترغب في الظهور بوصفها الحكومة المدنية التي تتحمل مسؤولية الإدارة اليومية، لكنها في الوقت نفسه لم تغادر المشهدين السياسي والأمني، فيما لم تبرز بعد سلطة بديلة قادرة على ممارسة صلاحياتها على الأرض.

وتكشف خطوة حماس أن النقاش حول مستقبل غزة لم يعد يقتصر على اسم الحكومة أو الجهة التي تدير الوزارات، بل أصبح مرتبطاً بالسؤال الأكبر حول شكل النظام السياسي الذي سيقود القطاع بعد الحرب.

فإعادة الإعمار، واستعادة الخدمات، وإدارة المعابر، والعلاقة مع السلطة الفلسطينية، ومستقبل السلاح، ودور المجتمع الدولي، كلها ملفات متشابكة تجعل انتقال الإدارة عملية سياسية معقدة أكثر من كونه إجراءً إدارياً.

ترتيبات شكلية

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

الحرب تدفع مصافي تكرير النفط إلى حافة الانهيار

خفض الطلب آلية السوق الوحيدة المتبقية لمواجهة نضوب مخزونات الوقود

يطلق قطاع تكرير النفط العالمي إشارات تحذيرية، فسلسلة إمداد المنتجات التي تُغذي الاقتصاد العالمي تتعرض لضغوط متزايدة مع تداعيات الصراعات في الشرق الأوسط وروسيا على أسواق الطاقة، الأمر الذي يهدد بتوفر الإمدادات بشكل مستدام ناهيك عن احتمالات ارتفاع الأسعار بشكل أكبر.

الطريق طويل لضبط البوصلة

لندن - تراجعت أسعار النفط الخام القياسية بشكل حاد من أعلى مستوياتها التي بلغت 118 دولارًا للبرميل خلال ذروة الحرب الإيرانية، وتحوم الآن حول 85 دولارًا، مما يُشير إلى أن العديد من المستثمرين يعتقدون أن خطر أزمة الطاقة قد تلاشى.

وبينما تعافت الإمدادات جزئيًا، لا يزال نظام تحويل النفط الخام إلى وقود يُعاني بعد أشهر من الاضطرابات الناجمة عن الحروب في روسيا والشرق الأوسط.

وتُقارب مخزونات البنزين والديزل أدنى مستوياتها منذ سنوات، وقد ارتفعت هوامش التكرير إلى مستويات قياسية، ولا يزال إنتاج المصافي مُنخفضًا بشدة في المناطق المنتجة الرئيسية.

وتستهلك الأسر والقطاع الصناعي المنتجات المُكررة، وليس النفط الخام، لذا فهذا هو الضغط الذي ينبغي عليهم مراقبته، بحسب الكاتب البريطاني في رويترز رون بوسو.

وأثبتت مصافي النفط أنها أهداف مغرية، ففي الشرق الأوسط، لا تزال مصافي رئيسية في السعودية والبحرين والكويت والإمارات العربية المتحدة متوقفة جزئيًا أو كليًا عن العمل بعد اندلاع الحرب الإيرانية في فبراير، والتي أدت إلى إغلاق مضيق هرمز.

رون بوسو

أوضح مؤشر على وجود ضائقة هو انخفاض أرباح التكرير

وفي الوقت نفسه، خفضت الصين عمليات التكرير بشكل حاد لتعويض الانخفاض الهائل في الواردات خلال الحرب. وفي أنحاء آسيا، اضطرت مصافي النفط أيضًا إلى تقليص عملياتها بسبب محدودية إمدادات النفط الخام.

كما تضرر قطاع التكرير الروسي بشدة جراء الهجمات الأوكرانية المتواصلة بطائرات مسيرة، مما أدى إلى نقص في الوقود محليًا، الأمر الذي أجبر موسكو على الحد من صادرات الديزل في محاولة لاحتواء ارتفاع الأسعار المحلية.

وأدت هذه الاضطرابات مجتمعة إلى انخفاض إنتاج التكرير العالمي بنحو 5 ملايين برميل يوميًا في الربع الثاني من العام 2026 مقارنة بالعام السابق، حيث بلغ متوسط عمليات التكرير حوالي 78 مليون برميل يوميًا، وفقًا لوكالة الطاقة الدولية.

وأدت إعادة فتح مضيق هرمز مؤقتًا عقب وقف إطلاق النار بين الولايات المتحدة وإيران في 17 يونيو إلى تخفيف بعض الضغوط لفترة وجيزة. ولكن رغم تسريع منتجي الخليج لتصدير النفط الخام عبر المضيق، ظلت تدفقات المنتجات المكررة أضعف بكثير.

ووفقًا لبيانات شركة كبلر، صدّرت المنطقة حوالي 4 ملايين برميل يوميًا من النفط الخام في يونيو، مقابل مليون برميل فقط يوميًا من المنتجات النفطية، أي ما يعادل ربع مستويات ما قبل الحرب.

والآن، أدى تجدد اضطراب حركة الملاحة عبر مضيق هرمز، نتيجة تصاعد الأعمال العدائية بين الولايات المتحدة وإيران، إلى خنق الصادرات الإقليمية مرة أخرى، مما يهدد الآمال في انتعاش نشاط مصافي التكرير في آسيا والشرق الأوسط.

وبرزت الولايات المتحدة كملاذ أخير لتكرير النفط في العالم خلال النصف الأول من هذا العام، حيث كثفت صادراتها من النفط الخام والبنزين والديزل ووقود الطائرات لتعويض الاضطرابات في أماكن أخرى. ولكنها الآن على وشك النفاد.

وانخفضت مخزونات النفط الخام الأمريكية، بما في ذلك المخزونات التجارية والاحتياطي الحكومي للطوارئ، منذ بداية الحرب الإيرانية إلى أدنى مستوى لها منذ عام 1984.

وبلغت مخزونات البنزين أدنى مستوياتها الموسمية منذ عام 2012، بينما تعافت مخزونات الديزل مؤخرًا فقط من أدنى مستوياتها في أكثر من عقدين.

وفي الوقت نفسه، بدأ إجمالي صادرات النفط الخام والمنتجات البترولية الأميركية بالتراجع مع تلبية المصافي للطلب المحلي المتزايد.

وانخفضت الصادرات الأسبوعية إلى 10.7 مليون برميل يوميًا الأسبوع الماضي، وهو أدنى مستوى لها منذ مارس، بعد أن بلغت مستوى قياسيًا قدره 14.2 مليون برميل يوميًا في أبريل.

ومع تعرض المخزونات المحلية لضغوط، ووصول الطلب على الوقود في الصيف إلى ذروته الموسمية، تبدو قدرة واشنطن على مواصلة تزويد بقية العالم محدودة بشكل متزايد.

ويرى بوسو أنه ربما يكون أوضح مؤشر على وجود ضائقة هو انخفاض أرباح التكرير، حيث ارتفع هامش التكرير القياسي الأميركي أو ما يُعرف بـ"فارق سعر التكرير"، مؤخرًا إلى ما يقارب 70 دولارًا للبرميل، وهو أعلى مستوى له على الإطلاق.

وفي شمال غرب أوروبا، صعدت هوامش التكرير إلى مستويات قياسية موسمية تقارب 30 دولارًا للبرميل.

وتبدو أسواق الديزل شديدة التنافس، فقد قفزت الهوامش الأوروبية إلى مستوى قياسي بلغ نحو 65 دولارًا للبرميل، بينما تحوم هوامش البنزين الأميركية قرب المستويات القياسية التي سُجلت خلال أزمة الطاقة عام 2022 عقب الحرب الروسية – الأوكرانية.

ولا تدفع الأسواق للمصافي مثل هذه العلاوات الاستثنائية إلا إذا كان المستهلكون يتنافسون على إمدادات الوقود الشحيحة.

وقد لا تُجدي ورقة الرئيس الأميركي دونالد ترامب نفعًا، فمع دخول الأزمة الإيرانية شهرها الخامس، ازداد اقتناع التجار بأن ترامب سيفعل أي شيء تقريبًا لتجنب ارتفاع حاد في أسعار الوقود الأميركية، وهو ما قد يُلحق ضررًا سياسيًا كبيرًا.

لكن المؤشرات التحذيرية الواضحة الصادرة من قطاع التكرير تُشير إلى أن الرئيس الأميركي قد يواجه صعوبة في منع حدوث ذلك.

> **5**
> **ملايين برميل يوميا انخفاض إنتاج المشتقات النفطية في الربع الثاني من 2026**

وقال بوسو "لا يزال التعافي السريع في إنتاج المصافي العالمية غير مرجح، ولا تزال العديد من مراكز التكرير الرئيسية تعاني من خلل بسبب النزاعات، أو انقطاع الإمدادات، أو قيود التصدير، بينما يبلغ الطلب الصيفي على وقود السيارات ووقود الطائرات ذروته".

وعادةً ما تتراكم مخزونات الديزل خلال الصيف استعدادًا للشتاء. ومن المرجح أن يستغرق تعافي إنتاج التكرير في روسيا شهورًا، إن لم يكن سنوات، بافتراض عدم وقوع المزيد من الهجمات الأوكرانية، وهو افتراض لا يرغب الكثيرون في تبنيه.

كما ستحتاج مصافي الشرق الأوسط إلى شهور لزيادة عملياتها بمجرد عودة تدفقات النفط عبر مضيق هرمز إلى وضعها الطبيعي متى ما حدث ذلك.

عوائد السياحة الأردنية تنكمش مع تراجع مساهمة الأسواق الدولية

عمّان - تعكس مؤشرات القطاع السياحي الأردني خلال النصف الأول من عام 2026 أداءً متبايناً، حيث سجلت الإيرادات تحسناً خلال شهر يونيو، في إشارة إلى استمرار النشاط الموسمي، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لتعويض التراجع المسجل منذ بداية العام.

ويبرز هذا الأداء اختلاف مساهمة الأسواق المصدرة للسياح، مع نمو الإيرادات القادمة من الدول العربية مقابل انكماشها من عدد من الأسواق التقليدية، ما يؤكد أهمية تنويع مصادر الطلب السياحي وتعزيز قدرة القطاع على مواجهة التقلبات الاقتصادية والجيوسياسية.

وأظهرت البيانات الأولية الصادرة عن البنك المركزي ارتفاع الدخل السياحي خلال شهر يونيو بنسبة 7 في المئة على أساس سنوي، ليصل إلى 685 مليون دولار، في مؤشر يعكس تحسن النشاط السياحي خلال بداية موسم الصيف.

ورغم هذا الأداء الإيجابي انخفض إجمالي الدخل خلال النصف الأول من 2026 بنسبة 5.3 في المئة بمقارنة سنوية، ليستقر عند 3.5 مليار دولار، ما يشير إلى أن المكاسب المحققة في يونيو لم تتمكن من تعويض التراجع المسجل خلال الأشهر السابقة.

ووفق ما أوردته وكالة الأنباء الأردنية الرسمية الاثنين عن البنك المركزي، فقد جاء انخفاض الإيرادات مدفوعاً بتراجع الإنفاق السياحي من عدة أسواق رئيسية، وفي مقدمتها الأردنيون المغتربون، الذين انخفضت مساهمتهم بنسبة 12.1 في المئة.

كما تراجعت الإيرادات المتأتية من السياح الأميركيين بنسبة 25.6 في المئة، ومن الأسواق الأوروبية بنسبة 28.2 في المئة، فيما انخفضت الإيرادات من الجنسيات الآسيوية بنسبة 3.5 في المئة، ومن بقية الجنسيات بنسبة 40.6 في المئة.

في المقابل سجلت الإيرادات السياحية القادمة من الزوار العرب نمواً بنسبة 6.5 في المئة، ما ساهم في الحد من وتيرة التراجع الكلي، ويعكس استمرار أهمية الأسواق العربية باعتبارها المصدر الأكثر استقراراً للطلب السياحي في الأردن.

وعلى صعيد الإنفاق السياحي، أظهرت البيانات انخفاض إنفاق الأردنيين والمقيمين على السفر إلى الخارج خلال شهر يونيو بنسبة 6.7 في المئة ليبلغ 182.4 مليون دولار.

كما تراجع الإنفاق السياحي خلال النصف الأول بنسبة 9.4 في المئة على أساس سنوي، ليستقر عند 906.1 مليون دولار، وهو ما قد يعكس تراجع وتيرة السفر الخارجي نتيجة اعتبارات اقتصادية أو تغير أولويات الإنفاق لدى الأسر.

وتشير هذه النتائج إلى استمرار تعرض القطاع السياحي لتأثيرات التغيرات في حركة السفر العالمية واختلاف أداء الأسواق المصدرة للسياح، إذ حافظت الأسواق العربية على زخمها في وقت شهدت فيه الأسواق الغربية والمغتربون تراجعاً ملحوظاً.

> **5.3**
> **في المئة نسبة تراجع العوائد في النصف الأول من 2026 لتصل إلى 3.5 مليار دولار**

ويبرز هذا التباين أهمية توسيع الحملات الترويجية واستهداف أسواق جديدة، إلى جانب تعزيز استقطاب السياحة العربية والإقليمية، بما يسهم في تنويع مصادر الإيرادات وتقليل الاعتماد على عدد محدود من الأسواق، خاصة في ظل استمرار التقلبات الاقتصادية والجيوسياسية التي تؤثر في حركة السفر الدولية.

وتعد صناعة السياحة، التي تسهم بما يتراوح بين 13.5 و15.6 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي للبلد سنويا، إحدى الأدوات المهمة لتنشيط عجلة الاقتصاد.

ومع نشوب الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران، شكل الأردن غرفة عمليات وطوارئ لمتابعة تأثير الأحداث على الحجوزات وحركة الطيران والمجال الجوي لضمان استمرارية العمل وحماية القطاع، وفق تصريح سابق لوزير السياحة، عماد حجازين.

جولة ممتعة

لماذا لم تشهد أسعار النفط ارتفاعا جنونيا حتى الآن

لندن - مع دخول الولايات المتحدة وإسرائيل الحرب مع إيران في نهاية فبراير الماضي، توقع المحللون أن يصل سعر النفط الخام إلى 150 دولارًا للبرميل، أو حتى إلى 200 دولار، مع انقطاع خمس الإمدادات العالمية التي تعبر مضيق هرمز الحيوي عن الأسواق العالمية.

لكن العقود الآجلة لخام برنت بلغت ذروتها عند حوالي 126 دولارًا، وهو أقل بكثير من أعلى مستوى تاريخي لها في عام 2008 والبالغ 147 دولارًا.

وقد بلغ متوسطها 101 دولار فقط للبرميل بين بداية الحرب في الشرق الأوسط في 28 فبراير وإلى غاية 11 يونيو، عندما أوقف الرئيس الأميركي دونالد ترامب الضربات على إيران، قبل أن تتراجع لفترة وجيزة إلى مستويات ما قبل الحرب عند 70 دولارًا في أوائل يوليو.

ويرى المحللون أن ثمة بعض الأسباب التي حالت دون ارتفاع أسعار النفط بشكل جنوني حتى الآن.

وكانت المفاجأة الأكبر هي الصين، أكبر مستورد للنفط في العالم، التي خفضت وارداتها من النفط الخام إلى أدنى مستوى لها منذ ما يقرب من عقد من الزمن بحلول يونيو.

وتم تقليص صادرات الوقود، وبدأ سكانها باستخدام سيارات الأجرة الكهربائية بدلاً من السيارات الخاصة، كما خفض قطاع البتروكيماويات لديها حجم إنتاجه.

وضخت الولايات المتحدة، أكبر منتج للنفط في العالم، كميات أكبر من النفط الخام، حيث بلغ الإنتاج مستوى قياسياً قدره 13.93 مليون برميل يومياً بحلول أبريل.

كما قامت بتفريغ مخزونها الاستراتيجي من النفط الخام ضمن عملية تفريغ قياسية بلغت 400 مليون برميل نسقتها وكالة الطاقة الدولية في مارس، مما ساعد على تخفيف اضطرابات الإمدادات.

وأربك الرئيس الأميركي دونالد ترامب المستثمرين في سوق النفط مراراً وتكراراً بتصريحاته حول اتفاقيات السلام واستئناف تدفق النفط عبر مضيق هرمز.

وانخفضت سيولة سوق النفط نتيجة إحجام العديد من المتداولين عن القيام بمراهنات شراء كبيرة وسط مخاطر انعكاسات السوق المفاجئة.

وقال إيليا بوشويف من معهد أكسفورد لدراسات الطاقة لوكالة رويترز إن "الجميع متفائلون الآن، لكن لا أحد يحتفظ بمراكز شراء طويلة".

وبعد أن خفضت الصناديق مراكزها الشرائية في عقود برنت الآجلة إلى أدنى مستوى لها هذا العام في أوائل يوليو، قامت بأكبر زيادة لها في ستة أشهر خلال الأسبوع المنتهي في 14 يوليو، وفقاً لبيانات بورصة إنتركونتيننتال الصادرة الجمعة الماضي.

ومع ذلك، لا تزال هذه المراكز، التي تبلغ قيمتها حوالي 14.8 مليار دولار بناءً على أسعار يوم الاثنين، أقل بنسبة تزيد عن 50 في المئة من ذروة السنوات الست التي سجلتها في أواخر مارس.

وأوضح أولي هانسن، رئيس استراتيجية السلع في ساكسو بنك، أن السوق يعاني من إرهاق الأخبار، مما يقلل من تأثير الإعلانات الجديدة على الأسعار.

إيليا بوشويف

الجميع متفائلون، لكن لا أحد يحتفظ بمراكز شراء طويلة

ورفعت السعودية، أكبر مُصدّر للنفط في الخليج، شحناتها من ميناء ينبع على البحر الأحمر بشكل ملحوظ، مما ساهم في تعويض النقص في كميات النفط عبر مضيق هرمز.

واستؤنفت شحنات النفط عبر مضيق هرمز لفترة وجيزة في يونيو، مما خفف المخاوف بشأن توافر النفط الخام، لكنها تراجعت مجدداً في يوليو مع استئناف القتال.

ويقول التجار إن هناك وفرة في إمدادات النفط الخام الجاهزة للتسليم الفوري، مما يحد من تأثر الأسعار بالتصعيد الأخير في النزاع.

وقد انخفضت فروق أسعار النفط الخام في أوروبا، مثل خام بحر الشمال فورتيز، الذي يُستخدم لتحديد سعر خام برنت العالمي، إلى مستوى أقل من أعلى مستوى قياسي سُجّل في أبريل.

وقال التاجر المخضرم عدي إمسيروفيتش لرويترز "هناك كميات كبيرة من النفط الخام الجاهز للتسليم الفوري في الوقت الحالي. لكن هذا الوضع قد لا يستمر!".

ويشير خبراء إلى أن أسواق النفط أصبحت أكثر حذراً في تسعير المخاطر الجيوسياسية بعد التجارب التي شهدتها خلال السنوات الأخيرة، إذ لم تعد تتفاعل مع احتمالات انقطاع الإمدادات بقدر تفاعلها مع الانقطاعات الفعلية.

ورغم التهديدات المتكررة بإغلاق هرمز، استمرت شحنات النفط في العبور، كما نجحت الدول المنتجة وشركات الشحن في إعادة توجيه جزء من الصادرات عبر موانئ وخطوط أنابيب بديلة، ما حدّ من المخاوف بشأن نقص الإمدادات في الأسواق العالمية.

أزمة إعلامية تعيد فتح ملف التطبيع في مصر

إيقاف مذيع وإحالته إلى التحقيق، في أعقاب موجة غضب عارمة بعد استضافة جدعون ليفي

القضية تتجاوز مجرد زلة مهنية لمذيع تلفزيوني، إذ تعكس حساسية مفرطة متجذرة في الوجدان العام المصري تجاه قضية سيناء والحدود الوطنية. فبرغم أن جدعون ليفي يعد من أبرز الأصوات اليسارية في صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية والمعروف بانتقاداته اللاذعة لسياسات الاستيطان الإسرائيلية، إلا أن مقاربة ملف السيادة على الأراضي المصرية شكّل خطاً أحمر استوجب انتفاضة فورية من الهيئات التنظيمية الإعلامية في القاهرة.

خطوط حمراء للتطبيع

القاهرة - أوقفت نقابة الإعلاميين المصرية المذيع والكاتب إيهاب قاسم عن العمل وأحالته إلى التحقيق، في أعقاب موجة غضب عارمة اجتاحت الأوساط السياسية والإعلامية إثر استضافته للصحفي الإسرائيلي جدعون ليفي عبر شاشة فضائية "القاهرة والناس". وجاءت هذه الإجراءات الصارمة بعد أن تضمن الحوار تصريحات وصفت بـ"المسيئة للسيادة الوطنية"، حيث زعم ليفي أن قطاعاً من الجمهور الإسرائيلي لا ينظر إلى شبه جزيرة سيناء كأرض مصرية بل كشواطئ لا تتبع أحداً.

وسارعت إدارة قناة القاهرة والناس إلى حذف المقابلة بالكامل من منصاتها الرقمية، مؤكدة في بيان رسمي أن القرار يأتي "تزامنا مع مراجعة شاملة لآليات إعداد وعرض الفقرة، وفي إطار الالتزام بالثوابت الوطنية ومعايير المجتمع المصري". الأزمة فتحت مجدداً الباب أمام نقاشات معقدة حول حدود العمل الصحفي، وقوانين حظر التطبيع الإعلامي الصارمة التي تفرضها النقابات المهنية في مصر منذ عقود.

> الحدث أثار نقاشات عميقة حول حدود العمل الصحفي في مصر، خاصة في ظل قوانين حظر التطبيع الصارمة

وتعرض الإعلامي إيهاب قاسم، الذي كان يقدم فقرة تحليلية مخصصة ضمن برنامج التوك شو الشهير "حديث القاهرة"، لانتقادات حادة لا تقتصر على مبدأ الاستضافة فحسب، بل لـ"صمته وابتسامه" أثناء سرد الضيف لادعاءاته دون تفنيدها.

أوضحت نقابة الإعلاميين في بيانها الرسمي أن القرار جاء بسبب مخالفة ميثاق الشرف الإعلامي ومدونة السلوك المهني. وأشارت النقابة إلى أن المذيع ترك الضيف يتحدث دون مراجعة أو تفنيد لما ورد في حديثه من مغالطات وأخطاء فادحة، خاصة في ما يتعلق بقضية سيناء. وأكدت النقابة أن مسؤولية إدارة الحوار وتصحيح المعلومات تقع على عاتق المقدم، معتبرة الصمت والابتسام أثناء سرد الضيف لادعاءاته خرقا مهنيا واضحا.

وتعود تفاصيل الأزمة إلى مداخلة ليفي، الذي يُعرف بآرائه اليسارية الناقدة لسياسات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في صحيفة "هآرتس". زعم ليفي خلال الحوار أن قطاعاً من الجمهور الإسرائيلي ينظر إلى شبه جزيرة سيناء كـ"أرض لا تتبع أحدا" أو شواطئ مفتوحة، وليس أرضاً مصرية سيادية. وأثارت هذه التصريحات غضبا شديدا، إذ اعتبرها مراقبون تجاوزا لخطوط حمراء وطنية، خاصة مع ذكريات التضحيات المصرية في سيناء.

من جانبه، دافع إيهاب قاسم عن موقفه في تصريحات خاصة لمنصة "القاهرة 24"، معرباً عن تعجبه من ردود الفعل. وقال "ما حدث من رد فعل على الحلقة مجرد تشويه دون النظر إلى المحتوى الأساسي. جدعون ليفي يصف إسرائيل دائماً بأنها دولة إرهابية متطرفة وكان مسانداً لفلسطين، وتتم استضافته عبر مختلف القنوات العالمية والعربية". وأضاف قاسم مبررا ابتسامته "ابتسامتي خلال حديثه عن سيناء لم تكن موافقة، بل كانت سخرية واضحة من ادعاءاته، وتحدث عن مصر بشكل جيد". رغم ذلك، لم تقنع هذه التصريحات المنتقدين الذين رأوا فيها تبريرا غير كاف.

ودخلت نقابة الصحفيين على خط الأزمة عبر أعضاء مجلسها، حيث وصف عضو المجلس محمود كامل المقابلة بأنها "جريمة في حق دماء الشهداء المصريين الذين ضحوا في سيناء". وجددت النقابة تأكيدها على موقفها التاريخي الثابت والرافض لكافة أشكال التطبيع المهني أو الشخصي مع الجانب الإسرائيلي، وهو الحظر الساري بقرارات الجمعية العمومية منذ عام 1980، ولم يتأثر بالاتفاقيات السياسية الرسمية مثل اتفاقية كامب ديفيد. وأكدت النقابة أن هذا الحظر يظل سارياً كثابت وطني.

وأثار الحدث نقاشات عميقة حول حدود العمل الصحفي في مصر، خاصة في ظل قوانين حظر التطبيع الصارمة التي تفرضها النقابات المهنية منذ عقود.

ويرى مراقبون أن القضية تتجاوز زلة مهنية فردية لتعكس حساسية مفرطة متجذرة في الوجدان المصري تجاه سيناء والحدود الوطنية. فبرغم أن جدعون ليفي يُعد من أبرز الأصوات الناقدة للاستيطان والاحتلال داخل إسرائيل، وفاز بجوائز مثل جائزة أولوف بالمه وجائزة سوكولوف، إلا أن أي مقاربة لملف السيادة على الأراضي المصرية شكلت خطاً أحمر استوجب رد فعل فورياً.

وعلى منصات التواصل، انتشرت تغريدات ومنشورات تعبر عن الغضب الشعبي. وفي تغريدة لأحد المستخدمين، وصف الحادث بأنه "تطبيع مرفوض"، مشيراً إلى أن "سماع عدوك وقت الحرب غير مسموح لأنه لا يفهم سوى لغة السلاح". وأكد آخرون معرفتهم بموقف ليفي الناقد، لكنهم شددوا على رفض أي تواصل إعلامي مباشر مع أي شخصية إسرائيلية في هذا التوقيت الحساس.

وكتب معلق:

@sameh_asker

حدث في مصر
قناة القاهرة والناس عملت برنامج سياسي فيه مداخلة من صحفي إسرائيلي اسمه جدعون ليفي.
مصر كلها انتفضت وقالت دا تطبيع، والنتيجة أن القناة اعتذرت وسحبت الفقرة أو المداخلة بتاع الصحفي ..
حدث يقول أن سماع عدوك وقت الحرب مش مسموح لأنه لا يفهم سوى لغة السلاح، فتح القنوات وإفساح الإعلام له يعلي من سرديته بينما يخفض ويذبح سرديتك، خصوصا وأن هذا العدو لا يكتم مشاعره ويصرح ليل نهار بأنه لا يعترف بك ويسعى لتكوين دولته الدينية الكبرى..

وقال آخر:

@hocine_blida90

... الصحفي والكاتب الإسرائيلي جدعون ليفي : أنا إسرائيلي ولدت في إسرائيل واهتم بإسرائيل ولكن إسرائيل دولة عنصرية تقتل وتشرد وتسرق الارض من اصحاب الارض الفلسطينيين وسوف تزول إسرائيل ويزول الاحتلال وتتحرر فلسطين كما تحررت الجزائر من الاحتلال الفرنسي.

ويأتي هذا الجدل في سياق إقليمي متوتر، مع استمرار النزاعات في غزة ولبنان، ما يعزز من رفض المجتمع المصري لأي شكل من أشكال التطبيع الإعلامي.

ويرى محللون أن مثل هذه الاستضافات، حتى لو كانت تهدف إلى تقديم آراء نقدية داخلية إسرائيلية، قد تُفسر على أنها منح منبر لروايات تخدم سرديات معادية، خاصة عندما تتعلق بالسيادة الوطنية.

ودافع بعض المعلقين عن ليفي، مشيرين إلى تاريخه الطويل في انتقاد السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، ووصفه إسرائيل بـ"دولة متطرفة". ومع ذلك، سادت الآراء الرافضة، معتبرة أن السياق المصري يختلف تماماً عن السياقات الغربية التي يظهر فيها ليفي بانتظام.

وفتحت الأزمة الباب أمام نقاشات حول التوازن بين حرية التعبير والالتزام بالثوابت الوطنية. وفيما يتساءل بعض الإعلاميين: هل يمكن للصحافة أن تكون منبراً للآراء المخالفة دون أن تُفسر كتطبيع أم أن الظروف الإقليمية تحول دون ذلك حاليا؟ وتؤكد النقابات المهنية أن الخطوط الحمراء واضحة، وأن أي تجاوز يستوجب عقوبات فورية للحفاظ على الوحدة الوطنية والوعي الجماعي.

فلسطينيو لبنان يعترضون على مشروع قانون الإعلام

مع استمرار المناقشات في المجلس النيابي، يبقى السؤال مفتوحا: هل سيتم تعديل المادة 63 لتعكس الواقع الإنساني المعقد للاجئين الفلسطينيين، أم سيزيد القانون من عزلة صوتهم في بلد يشاركونه المنفى والأزمات منذ عقود.

بيروت - يواجه الصحفيون الفلسطينيون في لبنان قيوداً جديدة تهدد وجودهم المهني، مع تصاعد الاعتراضات على مشروع قانون الإعلام الجديد المعروض أمام اللجان النيابية في مجلس النواب اللبناني، وخاصة المادة 63 التي تشترط أن يكون المدير المسؤول عن أي موقع إلكتروني إعلامي "لبنانيا متمتعا بحقوقه المدنية والسياسية".

بلا صوت

ويرى في هذا البند، بحسب الإعلاميين والمراقبين، إقصاءً تلقائياً للكفاءات الفلسطينية من إدارة المنصات والمواقع الإخبارية داخل البلاد، مما يثير مخاوف من خنق الأصوات المستقلة داخل المخيمات وتفاقم التحديات الاقتصادية والإنسانية للاجئين.

وتنص المادة 63 صراحة على ضرورة أن يكون المدير المسؤول إعلامياً لبنانياً، وهو شرط تترتب عليه نتائج فورية وعميقة. فهو يمنع أي صحفي فلسطيني، بغض النظر عن خبرته أو تحصيله العلمي، من تولي مناصب الإدارة أو رئاسة التحرير الرسمية لأي موقع إلكتروني.

وتواجه المواقع والمنصات الإخبارية المنطلقة من المخيمات الفلسطينية خطر الإغلاق أو الحظر إذا لم تعين "واجهات" لبنانية لإدارتها قانونياً.

قال أحمد الصباهي، أحد الصحفيين الفلسطينيين المشاركين في التحركات الاحتجاجية، في تصريح خلال لقاء في مركز فلسطين ببرج البراجنة "هذا القانون يمثل ظلماً واضحاً للكفاءات الفلسطينية التي تعمل في لبنان منذ عقود". وأضاف مطالباً باستثناءات تراعي "الحالة الإنسانية الخاصة باللاجئين".

ويأتي هذا البند في وقت يعاني فيه اللاجئون الفلسطينيون في لبنان من قيود مهنية طويلة الأمد، تشمل منع العمل في عشرات المهن، مثل التمريض في بعض الحالات، وإلغاء حقوق تملك بعض اللوحات العمومية. ويضيف القانون الجديد طبقة إضافية من التضييق في مجال حيوي أصبح الأبرز مع تراجع الصحافة الورقية: الإعلام الرقمي.

ويرى مراقبون أن خطورة المادة 63 تتجاوز البعد الاقتصادي إلى أبعاد سياسية وثقافية. فمع تحول المنصات الإلكترونية ومواقع التواصل إلى النافذة الرئيسية - بل الوحيدة أحياناً - لنقل واقع المخيمات، قد يؤدي حصر الإدارة باللبنانيين إلى تراجع التغطية المتخصصة بقضايا اللجوء، الفقر، والحقوق داخل هذه التجمعات السكانية.

وحذر حمزة البشتاوي من أن "القانون يهدد بتغييب الرواية الفلسطينية وصوت المخيمات". أما الصحفية صمود غزال، فأكدت أن "الفلسطيني هو المستهدف الفعلي"، مشيرة إلى بدء تحركات قانونية ولقاءات مع مسؤولين لبنانيين لتعديل البند.

كما يعرض القانون بعض الصحفيين لخسائر فكرية ومالية، إذ يضطرون أحياناً إلى تسجيل تراخيص منصاتهم بأسماء مواطنين لبنانيين لتفادي المنع، مما يضعهم تحت رحمة العلاقات الشخصية ويسلبهم الحقوق القانونية والمادية لمشاريعهم.

> الاعتراض يأتي في سياق حساس سياسيا، حيث يرفض معظم الأطراف اللبنانية «التوطين» الدائم للفلسطينيين

وتضامن الكاتب والمحلل قاسم قصير مع زملائه، معتبراً أن حرمان الصحفيين الفلسطينيين "يضر ببيئة الإعلام اللبناني ككل"، ودعا إلى تشكيل لجنة متابعة مع النواب اللبنانيين.

يأتي الاعتراض في سياق حساس سياسيا في لبنان، حيث يرفض معظم الأطراف اللبنانية "التوطين" الدائم للفلسطينيين، وهو موقف يشاركه الفلسطينيون أنفسهم الذين يتمسكون بحق العودة. وشددت فصائل فلسطينية على أن "تعديل القانون لصالح حق الإدارة لا يتعارض مع رفض التوطين".

ومع ذلك، يربط الإعلاميون الفلسطينيون هذا البند بسلسلة قرارات سابقة ضيقت الخناق على اللاجئين، مما يعمق شعوراً بالحصار المهني والاجتماعي داخل المخيمات التي تعاني أصلاً من ظروف معيشية صعبة وبطالة مرتفعة.

وبناءً على بياني "بوابة اللاجئين الفلسطينيين" و"شبكة عابر"، يخطط الصحفيون والفصائل لسلسلة تحركات تشمل فتح حوار مباشر مع لجنة الإعلام النيابية والمجلس الوطني للإعلام وضغطا من الفصائل الفلسطينية والسفارة الفلسطينية لتبني المطلب ومطالبة النقابات اللبنانية بحماية الحقوق المهنية المشتركة.

ويأمل النشطاء في أن يؤدي الضغط المشترك، اللبناني - الفلسطيني، إلى تعديلات تضمن مشاركة الكفاءات دون تمييز، مع الحفاظ على السيادة اللبنانية.

تحديات أوسع للإعلام في لبنان: يأتي مشروع القانون الجديد في وقت يواجه فيه الإعلام اللبناني تحديات اقتصادية وسياسية جمة، وسط أزمة مالية مزمنة وتوترات إقليمية.

وفيما يسعى التشريع إلى تنظيم الفضاء الإلكتروني، يحذر منتقدون من أن بعض بنوده قد تقيد حرية التعبير بدلا من تعزيزها.

وبالنسبة للصحفيين الفلسطينيين، الذين ساهموا تاريخيا في المشهد الإعلامي اللبناني، يمثل هذا البند تهديداً وجودياً لقدرتهم على ممارسة مهنتهم بحرية واستقلالية.

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

الإسلام السياسي الشيعي... أولوية العقيدة على الدولة

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لم يعد الجدل حول الإسلام السياسي يقتصر على سؤال الدين والدولة، أو على مدى قدرة الحركات الدينية على التوفيق بين المرجعية العقائدية ومتطلبات الحكم الحديث، بل انتقل إلى سؤال أكثر عمقا يتعلق بطبيعة الدولة نفسها. هل الدولة هي الغاية التي تُسخَّر لها العقيدة والسياسة والاقتصاد، أم أنها مجرد أداة لخدمة مشروع أيديولوجي يتجاوز حدودها الجغرافية؟

في هذا السياق تبدو تجربة الإسلام السياسي الشيعي مختلفة عن معظم تجارب الإسلام السياسي السني. فالأخير، رغم حضوره الواسع في المجال السياسي منذ عقود، لم تتح له فرصة حكم مستقرة وطويلة تسمح بإصدار حكم نهائي على قدرته على بناء دولة حديثة أو إنتاج نموذج حكم قابل للاستمرار. فقد جاءت تجاربه قصيرة ومرتبكة، وانتهت باحتجاجات وصراعات أهلية، الأمر الذي أبقى النقاش حولها نظريا أكثر منه عمليا.

أما الإسلام السياسي الشيعي فقد امتلك فرصة الحكم في تجربتين واضحتين؛ الأولى في إيران منذ عام 1979، والثانية في العراق بعد عام 2003. وهاتان التجربتان تتيحان قراءة أكثر وضوحا لطبيعة المشروع السياسي الذي يحمله، وللعلاقة التي يقيمها مع مفهوم الدولة.

لا يبدو أن بناء الدولة، بالمفهوم الحديث القائم على المؤسسات والكفاءة والإدارة والتنمية، كان الهدف المركزي للتجربة الإيرانية. فالثورة الإسلامية لم تقدم نفسها باعتبارها مشروعا وطنيا لإعادة بناء إيران، بل باعتبارها مشروعا أمميا يحمل رسالة عابرة للحدود، عنوانها "ولاية الفقيه" وتصدير الثورة.

منذ السنوات الأولى لثورة الخميني، تشكلت معادلة جديدة داخل النظام الإيراني، تجعل الدولة الوطنية في خدمة الفكرة، لا العكس. فالموارد الاقتصادية، والقدرات العسكرية، والسياسة الخارجية، وأجهزة الإعلام، لم تُوجَّه أساسا نحو تحويل إيران إلى نموذج اقتصادي أو علمي ينافس القوى الكبرى، بقدر ما وُظفت لبناء شبكة نفوذ إقليمية تتجاوز حدود الدولة الإيرانية، وتخدم مشروع ولاية الفقيه بوصفه دولة للفكرة أكثر منه دولة للمجتمع.

ولذلك يصعب فهم كثير من السياسات الإيرانية إذا جرى النظر إليها بمنطق الدولة الوطنية التقليدية. فالدولة التي تمتلك واحدة من أكبر احتياطيات النفط والغاز في العالم، وكان يمكن أن تتحول إلى قوة اقتصادية آسيوية كبرى، اختارت أن تخصص جزءا ضخما من مواردها لبناء منظومة نفوذ خارجية.

هذا الإنفاق لم يكن عشوائيا، بل اتجه إلى تأسيس ما يشبه "البنية التحتية العقائدية" للمشروع الإيراني؛ دعم الفصائل المسلحة، وتمويل المؤسسات الإعلامية، ورعاية النشاط الدعائي، وبناء شبكات الاستقطاب المذهبي، وتطوير أدوات التبشير السياسي المرتبطة بفكرة ولاية الفقيه.

ولهذا ظهرت خلال العقود الماضية منظومة متكاملة تمتد من لبنان إلى العراق واليمن، مرورا بسوريا والبحرين، وصولا إلى خلايا وشبكات نفوذ في مناطق أخرى من الخليج، بحيث أصبحت هذه المكونات جزءا من تصور استراتيجي واحد، لا مجرد تحالفات سياسية عابرة.

ولم يقتصر النشاط الإيراني على البيئات الشيعية التقليدية، بل امتد إلى مناطق لا تمثل فيها الشيعة وزنا ديمغرافيا، مثل شمال أفريقيا، حيث عملت طهران على الاستثمار في البيئة الثقافية والإعلامية، وتنظيم زيارات للمثقفين والإعلاميين والفنانين وبعض النخب الأكاديمية والتقنية للتعريف بالنموذج الإيراني، بما في ذلك الترويج للتجربة الإيرانية في مجال تمكين المرأة بوصفها أحد مظاهر حداثتها.

في الوقت نفسه، استفادت إيران من الإرث العاطفي الذي خلفته القضية الفلسطينية، ومن حالة العداء الشعبي لإسرائيل، لتوسيع دائرة التعاطف مع مشروعها. فـ"تيار المقاومة" لم يكن مجرد تحالف عسكري، بل أصبح مظلة سياسية وفكرية جذبت قطاعات من القوميين واليساريين، وحتى جزءا من التيار الإخواني، بينما بقي التيار السلفي خارج هذه المعادلة في الغالب.

بهذه الطريقة نجحت طهران في إعادة تعريف الصراع في المنطقة، بحيث يصبح الموقف من إسرائيل والولايات المتحدة مدخلا لتجاهل أو تبرير توسعها الإقليمي، والتغاضي عن تدخلها في الشؤون الداخلية للدول العربية أو دعمها لفصائل مسلحة تتجاوز سلطة الدولة.

إذا كانت إيران تمثل مركز المشروع، فإن العراق يمثل حزامه الاستراتيجي الأكثر أهمية. لكن التجربة العراقية تكشف وجها آخر للمقاربة نفسها.

فالأحزاب والفصائل الشيعية التي سيطرت على السلطة بعد عام 2003 لم تقدم رؤية متماسكة لبناء الدولة العراقية، ولم تطرح نموذجا تنمويا أو إداريا يعيد تأسيس مؤسسات الدولة بعد عقود من الحروب والعقوبات.

> **أزمة الإسلام السياسي الشيعي تكمن في طبيعة مشروعه بعد الوصول إلى السلطة حيث تتحول الدولة إلى وسيلة للفكرة ويتراجع مفهوم السيادة والتنمية والمواطنة**

كان الهم الأساسي هو بناء منظومة هيمنة سياسية وأمنية تضمن بقاء العراق ضمن المجال الحيوي الإيراني، بمعنى أدق تحويل العراق إلى بلد تابع ومنع صعوده من جديد ولو في شكل نموذج شيعي عراقي خالص، امتدادا لحالة عداء بأبعاد تاريخية قديمة وحديثة. ومن هنا جاء الاستثمار الكبير في تشكيل الميليشيات المسلحة التي ترتبط عقائديا وسياسيا بإيران، وتتلقى توجيهاتها ضمن منظومة يقودها فيلق القدس في الحرس الثوري.

وبالتوازي مع تسليح الفصائل والميليشيات بشكل تكون فيه أقوى من الدولة، نشأت شبكات واسعة للنفوذ المالي داخل المؤسسات الحكومية، عبر السيطرة على الموارد العامة والمنافذ الاقتصادية، بما جعل الفساد جزءا من بنية النظام السياسي، لا مجرد انحراف إداري.

ولهذا لم يكن تصنيف العراق ضمن أكثر الدول فسادا نتيجة عرضية، بل أصبح الفساد إحدى أدوات إعادة إنتاج النفوذ، لأنه يجعل الدولة ضعيفة، ويحول دون قيام مؤسسات مستقلة قادرة على محاسبة مراكز القوة.

ولهذا أيضا اصطدمت محاولات رؤساء الحكومات العراقية المتعاقبين بإصلاح مؤسسات الدولة أو الحد من نفوذ شبكات الفساد بجدار سياسي وأمني معقد، جعل كثيرا من مشاريع الإصلاح تنتهي قبل أن تحقق نتائج ملموسة.

وفي المرحلة الحالية، يبدو رئيس الوزراء علي الزيدي أكثر استعدادا لمواجهة جزء من هذا النظام مستفيدا من تراجع النفوذ الإيراني نتيجة الضغوط الإقليمية والدولية، غير أن الحكم على نجاح هذه المحاولة يبقى سابقا لأوانه، لأن شبكات النفوذ التي تراكمت خلال عقدين لا يمكن تفكيكها في فترة قصيرة، كما أن ارتباطها بتوازنات إقليمية يجعل مستقبلها مرتبطا أيضا بمستقبل المشروع الإيراني نفسه.

أما النموذج الحوثي في اليمن، فهو يقدم النسخة الأكثر وضوحا لفكرة "الوكيل" أكثر من فكرة الدولة. فمنذ ظهور الجماعة، لم يكن المشروع المطروح هو إقامة دولة يمنية حديثة، بقدر ما كان الهدف السيطرة على الجغرافيا التي تمنح إيران أوراق ضغط استراتيجية في مواجهة السعودية وفي التحكم بأمن الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب.

وقد تعزز هذا الدور خلال الحرب الأخيرة، عندما تحولت هجمات الحوثيين في البحر الأحمر إلى جزء من الاستراتيجية الإقليمية الإيرانية، سواء للضغط على الولايات المتحدة، أو لتخفيف الضغط العسكري عن حزب الله، أو لإعادة توزيع ساحات المواجهة تحت عنوان "إسناد غزة".

ولا يبدو أن بناء المؤسسات أو تحسين الإدارة أو معالجة الانهيار الاقتصادي كان ضمن أولويات الجماعة، بقدر ما بقيت الأولوية مرتبطة بالوظيفة الإقليمية التي تؤديها داخل المشروع الإيراني.

تكشف هذه التجارب الثلاث عن سمة مشتركة تتمثل في أن مفهوم الدولة لا يحتل موقع المركز داخل مشروع الإسلام السياسي الشيعي بصيغته المرتبطة بولاية الفقيه. فالدولة ليست غاية قائمة بذاتها، بل أداة لتنفيذ مشروع عقائدي أوسع يتجاوز الحدود الوطنية.

ولهذا تبدو مفاهيم مثل السيادة الوطنية، والتنمية الاقتصادية، والمواطنة، وبناء المؤسسات، أهدافا ثانوية إذا تعارضت مع مقتضيات المشروع الإقليمي. فالولاء للفكرة يتقدم على الولاء للدولة، والارتباط بالعقيدة السياسية يتقدم على الارتباط بالمجال الوطني.

وهنا يكمن الفارق الجوهري بين الدولة الوطنية التي تنطلق من خدمة المجتمع وتطوير مؤسساته، وبين الدولة الأيديولوجية التي توظف المجتمع وموارده لخدمة فكرة عابرة للحدود. فالأولى تقيس نجاحها بمستوى رفاه مواطنيها وقوة مؤسساتها، بينما تقيس الثانية نجاحها بمقدار تمدد نفوذها واتساع دائرة أتباعها.

ومن هذه الزاوية، يمكن القول إن أزمة الإسلام السياسي الشيعي ليست في قدرته على الوصول إلى السلطة، بل في طبيعة المشروع الذي يحمله بعد الوصول إليها. فهو لا ينظر إلى الدولة باعتبارها الإطار النهائي للعمل السياسي، وإنما باعتبارها محطة ضمن مشروع أكبر، يتجاوز الجغرافيا الوطنية ويعيد تعريف السلطة بوصفها امتدادا للعقيدة لا امتدادا لإرادة المواطنين. ولذلك بقيت فكرة "ما فوق الدولة" هي المحدد الأكثر حضورا في التجربتين الإيرانية والعراقية، كما في النموذج الحوثي، حتى عندما كان الثمن إضعاف الدولة نفسها وتحويلها إلى ساحة مفتوحة لصراعات النفوذ الإقليمي.

تكشف التجربة الإيرانية والعراقية، ومعهما النموذج الحوثي، أن الإسلام السياسي الشيعي بصيغته المرتبطة بنظرية ولاية الفقيه لا يتحرك داخل إطار الدولة الوطنية، بل فوقها. فالدولة ليست النهاية، وإنما الوسيلة، والحدود ليست إطارا للسيادة، وإنما مجالا للحركة، بينما لا يحتل المواطن الموقع نفسه الذي تحتله العقيدة في ترتيب الأولويات.

ولهذا فإن تقييم هذه التجارب لا ينبغي أن ينطلق فقط من سؤال الديمقراطية أو الاستبداد، بل من سؤال أكثر جوهرية: ماذا بقي من الدولة بعد عقود من حكم العقيدة؟

قد تختلف الإجابات باختلاف الزوايا، لكن التجارب الثلاث تكشف نتيجة يصعب تجاهلها؛ فكلما اتسعت حدود المشروع العقائدي، تراجعت الدولة الوطنية، وكلما تعاظم نفوذ الوكلاء، ضعفت المؤسسات. وهنا تكمن المفارقة التي تختزل التجربة بأكملها: حين تتحول الدولة إلى وسيلة لخدمة الفكرة، تصبح الفكرة أكبر من الدولة، ويصبح المواطن آخر من تُبنى الدولة من أجله.

حين تصبح الفكرة أكبر من الدولة

كيف أعاد الدعم غير المشروط لإسرائيل صياغة صورة أميركا في العالم الإسلامي

اختفى الرجل وبقيت العقيدة

ألطاف موتي
كاتب باكستاني

يمثل رحيل السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام نهاية واحدة من أكثر المسيرات المهنية تأثيرًا وجدلاً في تاريخ السياسة الخارجية الأميركية المعاصرة. فعلى مدى أكثر من عقدين، لم يكن غراهام مجرد سيناتور عن ولاية كارولينا الجنوبية، بل غدا أحد أقوى أصوات واشنطن المنادية بالتدخل العسكري، والزعامة الأميركية العالمية، وفوق كل ذلك، الدعم غير المشروط لإسرائيل.

لقد أشعلت وفاته نقاشاً محورياً: هل اختفى الرجل بينما لا تزال العقيدة التي دافع عنها راسخة في صلب السياسة الأميركية أم أن رحيله يشي بأفول تدريجي لحقبة اعتبرت القوة العسكرية والتحالفات التي لا تتزعزع الأدوات الأساسية للنفوذ الأميركي؟

قلة من الساسة الأميركيين ربطوا أنفسهم بهذا القدر من الوثاقة بأمن إسرائيل. وطوال مسيرته في مجلس الشيوخ، جادل غراهام بأن إسرائيل هي الحليف الاستراتيجي الذي لا غنى عنه لأميركا في الشرق الأوسط، وأن أمنها يخدم بشكل مباشر المصالح الوطنية الأميركية.

وسواء تعلق الأمر بطموحات إيران النووية، أو المساعدات العسكرية لإسرائيل، أو الضغوط الدبلوماسية في الأمم المتحدة، نادراً ما حاد غراهام عن هذا الموقف. وعقب هجمات حماس في أكتوبر 2023، دافع بقوة عن الحملة العسكرية الإسرائيلية في غزة، ورفض الدعوات إلى ربط المساعدات العسكرية الأميركية بأي تغيير في السياسة الإسرائيلية.

بالنسبة لمؤيديه، كان هذا الموقف تجسيداً للولاء لحليف ديمقراطي يواجه جماعات مسلحة وأطرافاً إقليمية معادية. أما بالنسبة للكثيرين غيرهم، فقد كان دليلاً على عجز عن التمييز بين دعم أمن إسرائيل وبين تأييد كل جانب من جوانب سلوكها العسكري.

لم يرتبط أي سيناتور أميركي بالمؤسسة الموالية لإسرائيل في واشنطن كما ارتبط ليندسي غراهام.

في معظم أنحاء العالم الإسلامي، تجاوز نقد غراهام مجرد خطاباته أو سجله التصويتي، إذ بات يرمز لما يعتبره الكثيرون "ازدواجية المعايير" الأميركية في تطبيق القانون الدولي وحقوق الإنسان. فبينما أدانت الإدارات الأميركية المتعاقبة الهجمات على المدنيين في صراعات أخرى، يرى النقاد أن واشنطن غالباً ما تبنت معياراً مغايراً عندما تعلق الأمر بإسرائيل.

وقد عززت تصريحات غراهام العلنية هذا التصور؛ فقد أكد باستمرار على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، بينما أولى اهتماماً أقل بكثير للتبعات الإنسانية التي يعاني منها الفلسطينيون. وخلال حرب غزة، أعادت صور الأحياء المدمرة، والعائلات المهجرة، والضحايا المدنيين صياغة الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي. وفي ظل هذه الخلفية، جعل دعمه غير المتهاون للعمليات العسكرية الإسرائيلية منه أحد أكثر الساسة الأميركيين تعرضاً للانتقاد في المنطقة.

كما أن دعمه لغزو العراق، ودعوته إلى اتخاذ إجراءات أكثر صرامة ضد إيران، وتأييده للحلول العسكرية في عدة أزمات إقليمية، زادت من تكريس صورة السياسي الذي يؤمن بأن القوة الأميركية يجب أن تُمارس عبر القوة الغاشمة لا عبر الدبلوماسية.

> **الإرث السياسي لليندسي غراهام يتجاوز مجرد كونه سيناتورا، فقد أصبح اختبارا لمدى قدرة استراتيجية أميركا طويلة الأمد في الشرق الأوسط على الصمود في عالم متغير**

على الرغم من عدم وجود عقيدة رسمية تحمل اسمه، إلا أن غراهام روج باستمرار لرؤية عالمية يمكن التعرف على ملامحها؛ فقد استندت إلى أربعة مبادئ: الحفاظ على التفوق العسكري الأميركي المطلق، والتمسك بتحالفات استراتيجية غير مشروطة، ومواجهة الخصوم عبر الضغط لا عبر التفاهم، واعتبار إسرائيل حجر الزاوية في استراتيجية أميركا في الشرق الأوسط.

عكست هذه المقاربة الثقة التي طبعت واشنطن في حقبة ما بعد الحرب الباردة، حيث جادل غراهام بأن القوة العسكرية الأميركية تمنع نشوب صراعات أكبر وتحمي الاستقرار العالمي.

لكن منتقديه توصلوا إلى نتيجة معاكسة، مؤكدين أن عقوداً من التدخل في العراق وأفغانستان وليبيا وغيرها من الصراعات قد قوضت مصداقية أميركا، وفرضت تكاليف مالية باهظة، وعمقت حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط. ومن وجهة نظرهم، فإن الدعم غير المشروط لإسرائيل زاد من إضعاف مكانة واشنطن في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة، وعقد قدرتها على تقديم نفسها كقائد عالمي نزيه.

من المفارقات أن سنوات غراهام الأخيرة تزامنت مع تحولات عميقة داخل الولايات المتحدة نفسها.

فعلى الرغم من أن الدعم لإسرائيل ظل قوياً داخل الكونغرس، إلا أن الرأي العام الأميركي بدأ يشهد انقساماً متزايداً. وبدأ الناخبون الشباب، والعديد من الأكاديميين، ومنظمات المجتمع المدني، وعدد متزايد من السياسيين يتساءلون عما إذا كان الدعم غير المشروط لإسرائيل يخدم المصالح الاستراتيجية طويلة الأمد لأميركا.

حتى الحزب الجمهوري نفسه شهد تطوراً؛ فبينما مثل غراهام الجناح التدخلي التقليدي، أبدت حركة "أميركا أولاً" المتصاعدة شكوكاً أكبر تجاه الالتزامات الخارجية طويلة الأمد. هذا الانقسام الناشئ أشار إلى أن إجماع السياسة الخارجية الذي دافع عنه غراهام بكل قوة لم يعد يحظى بالدعم غير المشروط الذي كان يتمتع به في الماضي.

في غضون ذلك، تغير الشرق الأوسط نفسه؛ فقد وسعت الصين نفوذها الدبلوماسي والاقتصادي، ونوعت دول الخليج شراكاتها الدولية، وأخذت القوى الإقليمية تنتهج سياسات خارجية مستقلة بشكل متزايد. وهكذا، أصبحت البيئة الاستراتيجية التي شكلت رؤية غراهام للعالم أكثر تعقيداً بكثير من تلك التي كانت قائمة عندما دخل مجلس الشيوخ لأول مرة.

هل سيبقى إرثه؟

يطوي رحيل ليندسي غراهام فصلاً مهماً في السياسة الأميركية، لكنه لا يحسم النقاش الذي كان يمثله.

سيذكره مؤيدوه كـ"مدافع مبدئي" عن الزعامة الأميركية وأمن إسرائيل، بينما سيذكره منتقدوه كـ"أحد أوضح رموز السياسة الخارجية التدخلية" التي غالباً ما قدمت القوة العسكرية على الدبلوماسية وبدت غير مبالية بمعاناة الفلسطينيين.

ويبقى السؤال الأكثر أهمية هو: هل سيواصل القادة الأميركيون المستقبليون تبني الافتراضات التي حددت مسيرة غراهام المهنية؟ فمع تزايد تعددية الأقطاب في موازين القوى العالمية، واستمرار تطور الرأي العام داخل الولايات المتحدة، قد تكتشف واشنطن أن نفوذها لا يعتمد فقط على القوة العسكرية والتحالفات الاستراتيجية، بل على المصداقية، والاتساق، والقدرة على كسب الثقة الدولية.

بهذا المعنى، يتجاوز الإرث السياسي لليندسي غراهام مجرد كونه سيناتوراً؛ فقد أصبح اختباراً لمدى قدرة استراتيجية أميركا طويلة الأمد في الشرق الأوسط على الصمود في عالم متغير، وما إذا كان الدعم غير المشروط لإسرائيل سيظل المبدأ المحدد للسياسة الأميركية أم سيفسح المجال تدريجياً لنهج أكثر توازناً.

الأيديولوجيا غرفة إنعاش فاسدة للتاريخ

د. خالد زغريت
كاتب سوري

للحظات التاريخية منطقها وشروطها وظروفها، وفكرة إحيائها وهمٌ مخالف لقوانين الحياة البشرية. وأخطر ما يُستغل فيه التاريخ أن يُعاد إنتاجه في مفرخة الأيديولوجيا، فالأيديولوجيا غرفة إنعاش فاسدة للتاريخ.

تستغل الأيديولوجيا كثيرًا أقوال العظماء والمفكرين في توصيف التاريخ، ولاسيما أن تلك المقولات متطورة ومتعددة ومتجددة بتجدّد الزمان والمكان. فهو سفر مفتوح لا تكاد تُطوى صفحاته؛ ففي كل زمان ومكان ينظّر الساسة والمفكرون لأثر التاريخ في حركة تطور الحضارات والأمم.

فمنهم من يراه كيمياء يصنّع معادلاته بما يدعم أيديولوجيته، ومنهم من يراه أصلًا وفروعه تجدد جذعه، ومنهم من يراه ديناميكية إعادة العظمة للأمم وهي سمة خاصة ببعضها لا تلبث أن تعيد مجدها. والوصف الذي يكاد يكون الأقرب إلى الحقيقة أن التاريخ مدفن الماضي المقدس عند الشعوب كافة، غير أن الأيديولوجيين يعملون على إحيائه لاستنطاق شهادته حول مسارات أدلجتهم. وأكثر من يحيي التاريخ هم عجزة صنّاع الحاضر، أو الذين لفظتهم الحضارات الجديدة، فتنحوا إلى هامش الحاضر، ولجؤوا إلى التاريخ بوصفه دار عجزة لفكرهم السياسي الذي لا يدخلهم باب حضارة زمنهم.

الأيديولوجيا ليست أداة إحياء للتاريخ بل غرفة إنعاش فاسدة تعيد إنتاج الماضي كمسخ مشوّه وتحوّل الذاكرة الجماعية إلى وقود دعائي يضلل الحاضر

قيل الكثير في التاريخ انطلاقًا من رؤى أيديولوجية، على الرغم من أن الحداثة نادت بالانقطاع عن التاريخ ونقله إلى متحف اعتباري، والعلمانية كذلك رأته سجنًا يحبسها عن الانطلاق في الحياة المعاصرة، أما دعاة الأصولية المتطرفة فوجدوا فيه وقفًا للزمن عند مرحلة أنشأت أصوليتهم.

وثمة فئة واسعة تجتزئ مقولة ماركس في التاريخ: "التاريخ يعيد نفسه"، وتبني عليها مقولاتها، متجاهلة الحكمة الكامنة في تتمة القول: "إن التاريخ يعيد نفسه مرتين؛ المرة الأولى كمأساة، والثانية كمهزلة". وهذا يعني أن التاريخ لا يعيد نفسه إلا مسخًا مشوّهًا لحقيقته. أما مارك توين فرأى أن "التاريخ قد لا يعيد نفسه، ولكنه يتشابه كثيرًا". وتلك مقولة تستجيب لفكرة تشابه أحداث الوجود، لا لتكرار تجاربه إلا عند الفاشلين الذين يكررون التاريخ في زمن لا يشبه زمنه، وفكر لا يشبه فكره، وأدوات متخلفة عن زمنها.

وفي سياق الأقوال في التاريخ، اتخذ المفكر البريطاني شيموس ميلن إحياء التاريخ بوصفه حارسًا أمينًا للحضارات التي لا تلبث أن تستيقظ من غفوتها لتنتقم لحضاراتها التي اندثرت وبادت. ينطلق ميلن في أفكاره عن انتقام التاريخ من وهم أيديولوجي يسكنه ويتحكم في أفكاره وخياله السياسيين، فهو معروف كأحد أساطين الفكر اليساري والاشتراكي، ورأس حربة تنظير التوجهات اليسارية الحادة، وأبرز صقور نقد السياسة الخارجية الغربية، وخاصة السياسات الأميركية والبريطانية.

لا نغالي إن وصفنا رؤية ميلن لحركية التاريخ تطرفًا فكريًا أنتجه الوهم الأيديولوجي، فهو يجعل كتابه "انتقام التاريخ" معركة القرن الحادي والعشرين، وسردية جدلية في صبغة تحليل نقدي للأحداث العالمية بين 2001 و2012، وأهمها هجمات الحادي عشر من سبتمبر على مانهاتن وما تبعها من غزو أميركا لأفغانستان والعراق. وفي سياق تلك الأحداث يتعقب ميلن آثار نظام "السوق الحر" الذي يراه فشلًا مثلما فشلت التدخلات العسكرية الغربية. وبمقابل هذه السردية التهديمية لقوى الغرب وأميركا، يبالغ في تعظيم صعود الاقتصاد الصيني، وتمجيد التحولات الاجتماعية التي غزت أميركا اللاتينية، وأخيرًا يرى أن حركة الربيع العربي إنما هي مسمار في نعش الهيمنة الغربية.

يتخذ ميلن هذه الأحداث دليلًا على بداية تلاشي الهيمنة الأميركية والغربية (الإمبريالية)، وإرهاصات ردة عالمية إلى الصراعات الطبقية والبحث عن العدالة الاجتماعية، ويجعل التاريخ يستيقظ من سباته ليكرر تجاربه، ولاسيما الاشتراكية. ومن غير شك، هذه الرؤية تؤكد أن آفة تفكير ميلن هي الأدلجة؛ فمن حق كل مفكر أن يكون مؤدلجًا في انتمائه الشخصي، أما الفكر فيجب ألا يكون مؤدلجًا، لأن الأدلجة تعمي الفكر وتحوله إلى فكر دعائي مقيّد، لا فكرًا استراتيجيًا منفتحًا.

ولا أدل على إخفاق رؤى ميلن من الحقائق التي يعيشها العالم الراهن والتي تنقض أفكاره وتدحضها، ولاسيما أن الواقع يثبت عمليًا تعملق النفوذ الأميركي وجبروت قطبيته في الأحداث الأخيرة. أما الصعود الصيني فهو فكر رغبوي أيديولوجي، لأن الصين وإن تكن تتعملق بذاتها فإنها تتعملق لذاتها، ولا تنتقل إلى التأثير في توجه العالم الذي يستسلم لتعملق أميركا في قيادة العالم ورسم خريطته وفق نفوذها. أما الربيع العربي فتآكل ذاتيًا، وتحول إلى إخفاق تاريخي في سفر الثورات العالمية؛ فمنها ما ارتد إلى حاكمية استبدادية، ومنها ما أعاد نمط السلطات التي ثار عليها. أما روسيا فانتهت عظمتها إلى حرب استنزافية أخرجتها من فاعليتها العالمية. كل ذلك يعزز قيادة أميركا للعالم وهيمنتها عليه، ويدحض رأي ميلن في انتقام التاريخ، ويزيد غرق فكره في وهم الأيديولوجيا وسرابها التاريخي.

الأدلجة تعمي الفكر وتحوله إلى فكر مقيّد

الشرق الأوسط... أرض اللاعودة

من مهد للحضارات إلى ساحة للصراعات

ربى عياش
إعلامية فلسطينية

لطالما كان الشرق الأوسط أحد أكثر أقاليم العالم ثراءً بالحضارات، لكنه في الوقت ذاته أصبح أحد أكثرها استنزافًا بالصراعات. وبينما تنجح أمم في تحويل تاريخها إلى مصدر خبرة، يبدو أن هذه المنطقة ما زالت تحمل تاريخها كعبء ثقيل يتوارثه كل جيل، حتى أصبح الاستقرار استثناءً والمعاناة جزءًا من المشهد اليومي.

ليس من الممكن فهم حاضر الشرق الأوسط دون العودة إلى تراكمات الماضي. فهذه المنطقة شهدت تعاقب إمبراطوريات كبرى من الرومان والبيزنطيين إلى الفرس، ثم الدول الإسلامية المتعاقبة، وصولًا إلى الدولة العثمانية التي حكمت أجزاء واسعة منها لقرون. ومع انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، جاءت اتفاقيات رسمت حدودًا سياسية جديدة لم تراع بالضرورة الواقع الاجتماعي والثقافي، لتولد دولًا تحمل داخلها تنوعًا هائلًا، لكنه لم يُرافق غالبًا بصيغة سياسية قادرة على استيعابه.

فالشرق الأوسط ليس كتلة متجانسة، بل فسيفساء من العرب والأكراد والترك والفرس والأرمن والآشوريين وغيرهم، إلى جانب تنوع ديني ومذهبي واسع. هذا التنوع نعمة ونقمة؛ مصدر غنى حضاري وثقافي نعم، لكن مع غياب مؤسسات سياسية عادلة وهوية وطنية جامعة جعل الاختلاف يتحول في كثير من الأحيان إلى خطوط انقسام وصراع، إلى ألغام تنفجر يوميًا في وجه أهالي هذه المنطقة.

إلى جانب التعقيدات الداخلية، لم تعرف المنطقة فترة طويلة خالية من التدخلات الخارجية. فمن الحملات العسكرية القديمة إلى الاستعمار الأوروبي، ومن الحرب الباردة إلى غزو العراق عام 2003، وصولًا إلى التدخلات الإقليمية والدولية المعاصرة، ظل الشرق الأوسط ساحة تتقاطع فيها مصالح القوى الكبرى، مدفوعة بالموقع الجغرافي والموارد الطبيعية، إضافة إلى المكانة الدينية والعقائدية والثقافية الخاصة التي تحتضنها المنطقة.

كما أن مشاريع الوحدة الكبرى، سواء القومية العربية أو غيرها، لم تستطع بناء نموذج مستدام. فقد اصطدمت بالخلافات السياسية والأيديولوجية، وبالتنافس بين الأنظمة، لتبقى الدولة الوطنية هي الإطار السياسي القائم، لكنها في كثير من الحالات عجزت عن بناء مؤسسات تتجاوز الولاءات الطائفية أو القبلية أو العرقية.

ومن المفارقات التاريخية أن الشعوب التي وُصفت في المصادر الرومانية بـ"البرابرة" تركت إرثًا أكثر تعقيدًا مما توحي به التسمية. فقد كانت تلك الكلمة في الأصل تعبيرًا رومانيًا عن "الآخر" أكثر من كونها وصفًا لحضارة متدنية. وكثير من هذه الشعوب، مثل القوط والوندال والفرنجة، امتلكت نظمًا سياسية وثقافات وفنونًا وشعرًا، وأسهمت لاحقًا في تشكيل أوروبا الوسيطة، بل إن بعضها تمكن من الصمود طويلًا أمام الإمبراطورية الرومانية أو ورث أجزاء من مؤسساتها بعد ضعفها.

وربما يكمن أحد الفروق الجوهرية في أن بعض تلك الجماعات استطاعت، ولو لفترات محدودة، أن تلتف حول قيادة وهوية سياسية واضحة، الأمر الذي منحها قدرة على الصمود وبناء كيان مستقر نسبيًا.

أما الشرق الأوسط فقد ورث تعقيدًا يفوق ذلك بكثير: حضارات متراكمة، وأديانا عالمية، وموارد استراتيجية، وتنوعًا ديموغرافيًا واسعًا، وتدخلات خارجية مستمرة، وخلافات داخلية، وانقساما وعدم وحدة، وغيرها من العوامل الداخلية التي أدت إلى تآكله قبل العوامل الخارجية حتى.

ومع ذلك، يبقى الدرس الذي يقدمه التاريخ واضحًا: لا يمكن لأي مجتمع أن يبني مستقبلًا مستقرًا إذا بقيت الولاءات الضيقة أقوى من الدولة، وإذا ظلت المؤسسات أضعف من الانقسامات. فالاستقرار لا يتحقق بالشعارات، بل يُبنى عبر مؤسسات قانونية عادلة، واقتصاد متنوع، وتعليم يرسخ مفهوم المواطنة، وهوية وطنية تتسع للجميع دون إقصاء.

ليست المنطقة بحاجة إلى راية أيديولوجية جديدة بقدر حاجتها إلى مشروع واقعي يقوم على المصالح المشتركة، والتعاون الاقتصادي، واحترام التنوع، وبناء الثقة بين الدولة والمجتمع. فالدول عبر التاريخ نجحت في تجاوز صراعاتها لأنها تعلمت منه دون أن تسمح له بأن يحكم مستقبلها.

التاريخ ليس قدرًا محتومًا. فأوروبا التي مزقتها الحروب الدينية والعالميتان استطاعت لاحقًا أن تؤسس فضاءً للتعاون والتكامل، وبعض دول الشرق الأوسط نفسها أثبتت خلال العقود الأخيرة أن التنمية والإصلاح المؤسسي قادران على تغيير المسار عندما تتوافر الإرادة السياسية والاستثمار في الإنسان.

الشرق الأوسط كان يجب ألا يكون أرضًا محكومة بالفوضى إلى الأبد، ومن الظلم أن يبقى أسير ماضيه. هذه المنطقة مهد حضارات صنعت تاريخ البشرية، وكان من المفترض أن تبقى قادرة على صناعة مستقبل مختلف. لكن البداية الحقيقية لن تكون من انتصار طرف على آخر، ولا من استدعاء أمجاد الماضي، ولا من البقاء أسرى لهذه الحلقة المفرغة من الفساد والتشظي والصراعات والظلام والأنانية والدكتاتورية والعنف، بل من بناء دولة يشعر جميع أبنائها بأنهم جزء منها، وأن مستقبلهم المشترك أهم من خلافاتهم الموروثة. عندها فقط، ربما يمكن أن يتحول التاريخ من عبء يثقل الحاضر إلى خبرة تفتح الطريق نحو المستقبل.

الحرب بين واشنطن وطهران بين التصعيد وطاولة المفاوضات؟

أدهم إبراهيم
كاتب عراقي

تصاعد المواجهة بين واشنطن وطهران جعل مضيق هرمز خطًا أحمر، حيث تهدد إيران بإغلاقه، فيما تسعى الولايات المتحدة إلى إضعاف قدراتها العسكرية وإجبارها على التفاوض. الانقسام داخل إيران بين الحرس الثوري الداعي إلى التصعيد والجناح السياسي المائل للتفاوض يعكس مأزق النظام، بينما الشعب يدفع ثمن العقوبات والأزمة الاقتصادية المستمرة.

بعد شهر واحد من توقيع مذكرة التفاهم بين إيران والولايات المتحدة في 17 حزيران/ يونيو، انهارت محادثات السلام لتعود المواجهة بينهما من خلال تبادل الضربات العنيفة التي قد تؤدي إلى حرب مفتوحة. ومن خلال هذه المواجهة يبرز مضيق هرمز كأحد أهم الممرات الاستراتيجية في العالم. فالمضيق الذي كانت تمر عبره، قبل الحرب الأخيرة، نحو خُمس تجارة الطاقة العالمية، أُغلق مجددًا من جانب إيران بعد استئناف الأعمال العدائية في المنطقة.

وبحسب بيانات القيادة المركزية الأميركية، استهدفت الضربات مواقع في بندر عباس، وجزيرة طنب الكبرى، وقشم وبوشهر، إلى جانب أهداف أخرى على طول الساحل الإيراني، باستخدام طائرات مقاتلة وطائرات مسيّرة وسفن حربية. ومع تصاعد العمليات العسكرية الأميركية، هدد محسن رضائي، المستشار العسكري للمرشد الأعلى الإيراني، بأن طهران ستدخل "مرحلة هجوم شامل" إذا استمرت الضربات الأميركية. وقد واصلت إيران هجماتها على عدد من دول الخليج والأردن، حتى بلغ الصدام الأميركي – الإيراني مستوى غير مسبوق من الخطورة، الأمر الذي زاد المخاوف من اتساع رقعة الصراع وما قد يترتب عليه من تداعيات خطيرة على أسواق الطاقة والتجارة العالمية.

واعتبرت إيران مضيق هرمز خطًا أحمر، محذّرة في الوقت ذاته من أن أي هجمات جديدة على البنية التحتية الإيرانية ستقابل بضربات تستهدف البنية التحتية في المنطقة. لكن السؤال الأهم اليوم يتعلق بأهداف واشنطن الحقيقية. فمع تزايد الهجمات التي تطال منشآت وبنى تحتية يستخدمها المدنيون، هل تسعى الولايات المتحدة إلى إضعاف القدرات العسكرية الإيرانية لإجبارها على العودة إلى طاولة المفاوضات، أم أن هناك تحركًا بريًا محدودًا يستهدف جزرًا إيرانية استراتيجية في مضيق هرمز، بهدف تأمين الممر المائي والساحل الجنوبي الإيراني، وهو ما يتطلب، في حال حدوثه، وجود قوات على الأرض؟

وفي حال اتجهت المواجهة إلى هذا السيناريو، قد يحاول الحرس الثوري الإيراني توسيع نطاق المعركة عبر تدخل بري من الأراضي العراقية، بهدف إعادة موازين القوى وفتح جبهات جديدة أمام الولايات المتحدة. لكن داخل إيران نفسها، يبدو أن هناك انقسامًا واضحًا بين جناحين: الأول يمثله الحرس الثوري الذي يدفع باتجاه التصعيد ورفع كلفة المواجهة، والجناح الآخر يمثله رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ويدعو إلى العودة إلى مسار المفاوضات.

بين التصعيد والمفاوضات يبقى الشعب الإيراني الخاسر الأكبر يدفع ثمن العقوبات والأزمات بينما تتنازع أجنحة السلطة بين منطق القوة ومنطق البراغماتية السياسية

يحاول القادة الجدد في إيران، على غرار القادة السابقين، الحفاظ على النظام بأي ثمن، مع السعي إلى حماية الحد الأدنى من الامتيازات والمكاسب التي حققتها طهران على مدى عقود. غير أن استخدام ورقة الطاقة من خلال وضع اليد على مضيق هرمز قد يؤدي إلى تشكيل تحالف دولي أوسع ضد إيران، وربما إلى إشراك دول من حلف الناتو في المواجهة. كما أن استمرار تهديد إمدادات الطاقة قد يدفع المجتمع الدولي إلى تسريع البحث عن بدائل استراتيجية، مثل تطوير خطوط أنابيب تنقل النفط والغاز إلى البحر الأحمر أو البحر المتوسط، الأمر الذي قد يجعل مضيق هرمز، على المدى البعيد، أقل أهمية في منظومة نقل الطاقة العالمية، مما يحرم إيران من ورقة رابحة في مواجهة الضغوط الأمنية والاقتصادية عليها.

ومع ذلك، تبقى إيران دولة براغماتية في حساباتها السياسية. ولذلك فإن عودتها إلى محادثات السلام تبدو احتمالًا قائمًا بقوة، خصوصًا لتجنب المزيد من الخسائر التي يدفع ثمنها الشعب الإيراني. فالأزمة الاقتصادية والعقوبات التي طالت الطبقات الفقيرة تمثل عاملًا إضافيًا قد يدفع القيادة الإيرانية إلى تفضيل التفاوض، في انتصار محتمل للجناح الأكثر اعتدالًا على حساب الحرس الثوري. وفي هذا السياق، صرّح رئيس البرلمان الإيراني محمد باقر قاليباف بأن طهران لا تزال منفتحة على إجراء محادثات مع الولايات المتحدة، لكنها لن ترضخ لما وصفه بالإملاءات المسبقة.

غير أن ذهاب إيران إلى طاولة المفاوضات لا يعني بالضرورة التوصل إلى اتفاق نهائي. فالتفاوض، في كثير من الأحيان، قد يكون وسيلة لتأجيل المواجهة وتخفيف الضغوط الاقتصادية والعقوبات عليها. وفي المقابل، يحتاج الرئيس الأميركي هو الآخر إلى التفاوض لتعزيز روايته السياسية القائمة على إجبار إيران على العودة إلى الحوار. لكن هل تنتهي المواجهة فعلًا؟ الراجح أن الإجابة ليست بهذه البساطة، فالأزمات والخلافات بين واشنطن وطهران لا تزال أعمق بكثير من أن تُحل باتفاق سريع أو تفاهم مؤقت. وقد تعود إيران إلى المفاوضات، وقد تهدأ الجبهات لفترة، لكن ذلك لا يعني بالضرورة نهاية الصراع.

وهكذا يضمن النظام بقاءه بينما يدفع الشعب الإيراني الثمن الباهظ من مقدراته ومعيشته.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

المحلل الرياضي.. بين القراءة العلمية والخرافة الإعلامية

التوقعات الإعلامية والانطباعات البصرية تتحول إلى أحكام مسبقة

لم يعد المحلل الرياضي مجرد معلق على أحداث المباريات، بل غدا مؤثرًا في تشكيل الرأي العام وصناعة التوقعات. غير أن هذا الدور يثير تساؤلات حول مدى استناده إلى المعرفة العلمية والقراءة التكتيكية، أو انجرافه وراء الانطباعات الإعلامية والخرافات التي تحجب الفهم الحقيقي لكرة القدم.

كه يلان محمد
كاتب عراقي

المكان الذي تُقام فيه الفعاليات الرياضية مسرحٌ للحدث بخلفياته الموحية بطبيعة هذه اللعبة وما تتطلبه من معرفة بالقواعد والسنن المتوافق عليها. ومن المؤكد أن إضافة بنود جديدة، أو إدخال تعديلات في بعض القوانين، أمرٌ متوقع، تفرضه التطورات التي يشهدها شكل اللعبة، سواء على مستوى زيادة متابعيها أو تحسن جودتها.

مونديال 2026 أظهر غياب الثقافة الرياضية، والتوسل بنظرية المؤامرة لسد النقص في الفهم والإدراك لطبيعة اللعبة

غير أن ثمة أشياء لا تتغير، وهي ثوابت في سياق الألعاب الرياضية؛ فالمستطيل الأخضر، والساحرة المستديرة، واثنان وعشرون لاعبًا من الفريقين، عناصر ثابتة في كرة القدم، ومن المستبعد أن يتم تعديلها، فيكون عدد اللاعبين أكثر مما هو محدد، أو يتسع الملعب، أو يُحسب ارتطام الكرة بالعارضة هدفًا، أو يُلغى قانون التسلل.

ظاهرة المحللين

مقابل ذلك، ثمة مكملات لكرة القدم تنشأ على هامش الثيمة الرئيسة، منها الجمهور، والمعلق الرياضي، والأعمال الأدبية التي تتناول حياة نجوم الكرة أو ترصد وقائع اللعبة ومؤثراتها في إطار سردي. كما نجد هذا المنحى في مختارات قصصية من أدب كرة القدم الأرجنتيني، نُشرت بعنوان "حكاية عامل غرف"، إذ يستلهم فيها عدد من الكُتّاب حبكة موادهم الأدبية من شغف الشعب الأرجنتيني بكرة القدم.

ويبدو أن كرة القدم أكثر من لعبة في هذا البلد الواقع في جغرافية أميركا الجنوبية، بل هي هوية لأبنائه؛ فهم يحولون ما يحدث في الملعب إلى أغانٍ وأهازيج، ويسردون ملاحم للصراعات الكروية، كما ينقلون حروبهم على الجزر والأراضي إلى الملاعب.

كان خوسيه لوبيز محقًا في رأيه عندما قال "عندما تبدأ رجلنا في التعب نلجأ إلى الجمهور". إذًا، فإن نهضة الأرجنتين هي تدوين مزيد من المجد الكروي، ونكبتها هي مغادرة منتخبها الملعب من دون أن يضيف نجمة إلى القميص. كل ذلك يندرج ضمن ردائف كرة القدم.

وقد أشار الكاتب الأوروغواني إدواردو غاليانو في مؤلفه الشهير "كرة القدم في الشمس والظل" إلى مفردات اللعبة بنوعيها الأساسي والجانبي، غير أن المحلل الرياضي يغيب عن سرده الذي يغطي محطات بارزة من تاريخ الكرة، بدءًا من النشأة، مرورًا بوضع القوانين، وصولًا إلى انطلاقة المونديال، ما يعني أن المحلل الرياضي ظاهرة حديثة في المشهد الكروي قياسًا بالمعلق والجمهور والمؤثرات المرئية والصوتية (الصور، واللافتات، والشعارات، والأناشيد).

ويؤكد ظهور المحلل الرياضي أن كرة القدم، على الرغم من بساطتها وقواعدها الواضحة، لا تخلو من التعقيد والملابسات، ولاسيما في شقها التحكيمي، وأن تبعات الموضوع في هذا الشأن لا تنتهي بإسدال الستار على الاستاد، بل تنعكس في تصريحات المديرين الفنيين واحتجاجات الجماهير. وقد تابع العالم خروج المتظاهرين في سويسرا رفضًا لنتيجة مباراة منتخبهم الوطني مع الأرجنتين.

ولا يكتفي المحلل في القنوات الرياضية بالتعليق على القرارات المثيرة للجدل بعد نهاية المباراة، ولا يعقب على ما يقوم به المدير الفني من تغييرات في التشكيلة فحسب، وإنما يقدم قراءته للمواجهات المحتدمة التي تجمع بين الأقطاب الكروية، ويسجل توقعاته بشأن المنتخبات التي تصل إلى المربع الذهبي في المونديال، والثنائي المتنافس على اللقب، والتوقيع على النسخة.

واللافت أن أربعة من كبار المحللين الرياضيين، إضافة إلى المقدم، قد توافقت آراؤهم على أن الفائز في مواجهة فرنسا وإسبانيا هو فريق ديديه ديشامب، ولم يكن المنتخب الإسباني واردًا في دفتر توقعاتهم للمباراة النهائية. فهل معنى ذلك أن المحلل الرياضي لا يختلف عن نظيره في المجال السياسي، فكلاهما يهمل اللامتوقع في المعطيات، ويجعل القياس على ما حدث إطارًا لقراءة ما يقع؟

لا شك أن المنتخب الفرنسي قد خطف الأضواء منذ الوهلة الأولى، وبدا قائده كيليان مبابي قاهرًا للفرق المنافسة، فيما ظهر المنتخب الإسباني غير مقنع قبل لقاء القمة، وكان لذلك دور في أن تصب النبوءات الإعلامية في كفة الديوك. وهو ما يذكر بحقيقتين: الأولى أن الاستعراض يشد الانتباه أكثر من النتائج الفعلية، والدليل أن المنتخب الإسباني نجح في تخطي الأدوار الإقصائية من دون الوصول إلى الأشواط الإضافية أو ركلات الترجيح، لكنه لم يكن بمستوى منافسه الفرنسي في العرض. أما الحقيقة الثانية، فهي أن التوقعات الذهنية لا تفلت من شبكة المرئي والمشاهدات البصرية.

كرة القدم عوالم متداخلة

كما غاب عن جل المحللين والمتابعين أن المنتخب الإسباني يستهوي حرمان خصمه من الكرة والاحتفاظ بها، كما يقول الإنجليزي العبقري فيكتور بكنغهام: المهم هو الاحتفاظ بالكرة، وليس الركل والجري. والمعروف عن "لا روخا" المهارة الواعية في التمريرات القصيرة، إذ يكون الاختراق لمنطقة العمليات بمنطق متوالٍ من الخطوات، وليس عن طريق التمريرات الطويلة، لذلك لا يخسر الكرة إلا نادرًا. ومهما كان المنافس متكاملًا هجوميًا ويمتلك قوة تهديفية، فإنه عندما يُحرم من الكرة يتعطل، مثلما وقع مع المنتخب الفرنسي.

قراءة اللعبة

إذًا، يستدعي التحليل الموضوعي الإبانة عن خصوصية المتنافسين، ولا يُحسب الكلام المرسل من المديح ونحت الألقاب ضمن المعيار العلمي والواقعي. ومن الواضح أن العديد من المحللين الرياضيين لا يتابعون كلام المدربين، وليست لديهم قراءة لأساليبهم ولا لعقلياتهم.

وما يجب الإشارة إليه أن هناك خيطًا رفيعًا يفصل بين التدجيل والمنطق في التحليل. ولا يُنكر أن ما يُنشر على المنصات وبعض الفضائيات أقرب إلى التهريج منه إلى الآراء المصوغة بمنهج علمي. وبالإجمال، أظهر المونديال غياب الثقافة الرياضية، والتوسل بنظرية المؤامرة لسد النقص في الفهم والإدراك لطبيعة اللعبة.

وأيًا يكن الأمر، فما يمكن قوله عن المباراة الأخيرة أنها كانت مرشحة لأن تجود بالإثارة والتشويق، لأن الطرفين ينزلان إلى الملعب بصفة البطل؛ فالمنتخب الأرجنتيني يريد أن يحافظ على اللقب للمرة الثانية على التوالي، كما أن "الماتادور" يطمح إلى إضافة مجد عالمي جديد إلى مجده القاري، ويفرض أسلوبه راسخًا في المستطيل الأخضر. لكن السيطرة الإسبانية المطلقة أنصفت إسبانيا بتتويجها بطلة للعالم.

المحلل الرياضي لا يختلف عن نظيره في المجال السياسي، فكلاهما يهمل اللامتوقع في المعطيات في قراءته وتحليلاته

وما يؤمن به المدرب الإسباني دي لا فوينتي هو اللعبة الجميلة؛ فبنظره أن العرض الكروي يجب أن يضاهي التوليفة الموسيقية في السلاسة والانسيابية، كما يستثمر روح الفريق لمصادرة المساحات بدلًا من الرهان على النجم.

دلّة القهوة.. ذاكرة الرقة التي لا تبرد

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

في الرّقة، لا تُوضَع الدلّة في صدر المجلس للزينة، ولا تُرفع أمام الضيوف بوصفها وعاءً نحاسياً جميلاً فحسب. الدلّة هنا تحمل معنى أثقل من معدنها، وأعمق من رائحة القهوة التي تفوح منها. إنها صورة البيت، وكرامة أهله، وذاكرة المكان، وإعلان صريح بأن للضيف مقاما، وللمجلس حرمة، وللناس أقدارا يجب أن تُصان.

من لا يعرف الرّقة قد يرى في الدلّة أداةً لإعداد القهوة، أما أهلها فيرون فيها تاريخاً كاملاً. يعرفون أن حضورها يعني أن البيت مفتوح، وأن صاحب الحاجة لن يُترك واقفاً على الباب، وأن الغريب يمكن أن يجد مكانا آمنا، ولو لساعات قليلة. وحين تُوضع الدلّة على النار، فإنها لا تغلي بالماء والبن والهيل وحدها، بل تغلي معها قيم توارثها الناس جيلاً بعد جيل: الكرم، والنخوة، وحفظ المقامات، وإغاثة الملهوف.

أرشيف العائلة

لهذا لم تكن القهوة في مجالس الرّقة شرابا عاديا. كانت لغة واضحة يفهمها الجميع. طريقة صبّها، وترتيب الفناجين، ومن يبدأ به الصبّاب، ومن يُقدَّم على غيره، كلها تفاصيل تحمل رسائل دقيقة. قد يظنها البعض شكليات قديمة، لكنها في المجتمع الرقي كانت جزءاً من ميزان الاحترام. فتجاوز كبير القوم، أو إهمال ضيف له مكانته، لم يكن حركة عابرة، بل خطأ قد يترك جرحاً في النفس، وربما يفسد مجلساً جاء أصحابه أصلاً لإصلاح ما أفسدته الخصومات.

ومن هنا لم يكن صبّ القهوة مَهمةً تُعطى لأي شخص. كان الصبّاب يُختار بعناية، لأنه لا يحمل دلّة وفنجاناً فقط، بل يحمل سمعة البيت كله. عليه أن يعرف الرجال، وأن يميّز مقاماتهم، وأن يبدأ من المكان الصحيح، وأن يتحرك بلياقة وهدوء. خطأ صغير منه قد يُفهم على غير قصده، وحركة محسوبة قد تكفي لتأكيد التقدير وردّ الاعتبار.

وفي مجالس الصلح والجاهات، تصبح الدلّة أكثر حضورا، بل تكاد تتحول إلى طرف صامت في الحوار. قد تُقال كلمات كثيرة، لكن موقفاً واحداً من الفنجان قد يكون أبلغ منها جميعاً. فالضيف الذي يرفض شرب قهوته لا يفعل ذلك عبثاً. إنه يقول بوضوح: لديّ طلب، أو مظلمة، أو حق، ولن أشرب قبل أن أسمع جواباً. عندها يصبح الفنجان وعداً مؤجلاً، ويصبح شربه علامة على القبول أو الاطمئنان أو انتهاء الخصام.

هنا تكمن قوة الدلّة: إنها لا تجامل، ولا تخفي المعنى. في بعض المجالس قد يكون فنجان القهوة بداية صلح، وفي مجالس أخرى قد يكون اختباراً للمروءة. وقد يتحول الامتناع عن شربه إلى موقف يضع الجميع أمام مسؤولياتهم. لذلك كانت القهوة جزءاً من أخلاق المجلس، لا مجرد ضيافة تُقدَّم وتنتهي.

سجلات عائلية صامتة

وللدلّة أيضاً صلة عميقة بحياة البادية والريف. في الأزمنة التي كانت فيها الطرق طويلة والليل موحشاً، كان دخان النار البعيد علامة حياة. يراه المسافر فيعرف أن هناك بيتاً لن يردّه، ناراً لن تُطفأ في وجهه، وفنجاناً سيمنحه شيئاً من الأمان. لم يكن السؤال يومها: هل يملك أهل البيت كثيراً؟ بل: هل يقتسمون ما يملكون؟ فالكرم عند أهل الرّقة لم يكن استعراضاً للمال، بل امتحاناً للأخلاق.

وقد تكون هذه هي الحقيقة التي يجب ألا تضيع: قيمة الدلّة لم تكن يوماً في النحاس ولا في الزخرفة. قيمتها في اليد التي ترفعها، وفي البيت الذي تخرج منه، وفي المعنى الذي تحمله.

الدلّة ليست وعاءً للنحاس والبن، بل سجلّ للعائلة، ورمز للكرم، وشاهد على المجالس والصلح وأعراف المجتمع

قد تكون الدلّة قديمة، متآكلة الأطراف، وقد تكون آثار النار واضحة على جسدها، لكنها بالنسبة إلى أهل البيت أثمن من قطعة جديدة لامعة؛ لأنها شهدت وجوهاً غابت، ورجالاً رحلوا، وضيوفاً مرّوا، وخصومات انتهت، وأفراحاً وأحزاناً اجتمع الناس حولها.

كثير من دلال الرّقة ليست مقتنيات تراثية، بل سجلات عائلية صامتة. كل خدش فيها يحفظ حكاية، وكل سواد تركته النار يعيد زمناً لم يعد موجوداً. وربما لهذا يتمسّك بها الناس حتى اليوم. في زمن تبدلت فيه البيوت، وتفرقت العائلات، وضاقت المضافات، وصارت العلاقات أكثر برودة، بقيت الدلّة تذكّرهم بما كانوا عليه، وبما لا يريدون خسارته.

عهدٌ غير مكتوب

الدلّة في الرّقة ليست جزءاً من الماضي فقط، بل موقف من الحاضر أيضاً. إنها تذكير بأن المجتمع لا يحيا بالقوة وحدها، بل بالرحمة والاحترام والوفاء. وتقول إن البيت الذي لا يعرف قدر ضيفه يفقد شيئاً من معناه، وإن المجلس الذي لا يحفظ كرامة الناس لا تنفعه كثرة الكلام.

قد تتغير أدوات إعداد القهوة، وقد تُستبدل النار بموقد حديث، وقد تختصر بعض المجالس طقوسها القديمة، لكن معنى الدلّة لا يسقط بسهولة. فهي بالنسبة إلى أهالي الرّقة ليست عادة قابلة للنسيان، بل جزء من صورتهم عن أنفسهم. وحين تفوح رائحة الهيل، ويُسمع صوت الفنجان على حافة الدلّة، لا يستعيد الناس طقساً قديماً فحسب، بل يستعيدون مدينة كاملة: بيوتها المفتوحة، ومضافاتها، ووجوه رجالها، وأحاديثها، وخصوماتها التي انتهت بكلمة وفنجان.

لهذا فإن اختزال الدلّة في معنى الضيافة ظلمٌ لتاريخها. إنها كرامة تُصبّ، وذاكرة تُحمل باليد، وعهدٌ غير مكتوب بين الناس. وربما يكون فنجان قهوة صغير أقدر من خطب طويلة على إعلان الاحترام، وتهدئة النفوس، وردّ الاعتبار، وإعادة ما انكسر بين القلوب.

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

«نصوص المرقاة» لمحمد حيّاوي قصص راقصة فوق سحابة الذكريات

سرد يعيد صياغة وجع الحرب بلغة شعرية مكثفة تبحث في أبعاد الوجود

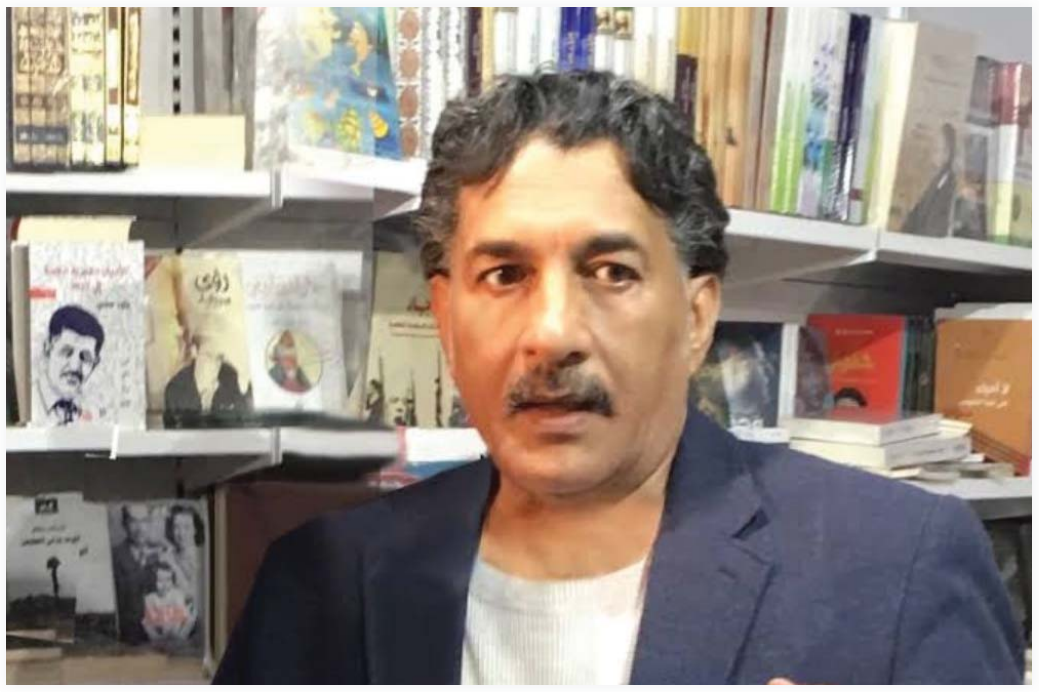

كاتب يعيد خلق الواقع بصورة أكثر عمقا

تمثل مجموعة "نصوص المرقاة" للقاص العراقي محمد حياوي تجربة سردية طليعية تتجاوز الواقعية المباشرة نحو فضاءات تأملية عميقة. وبصياغة فنية تشبه دقة الصائغ، يمزج حياوي الذاكرة العراقية ومآسي الحروب بالخيال العجائبي والرموز السومرية، مستبدلا الحكاية التقليدية ببناء جمالي مكثف يشرك القارئ في تفكيك لغته الشعرية المترعة بأسئلة الوجود والانتظار.

خضير فليح الزيدي
كاتب عراقي

تمثّل مجموعة "نصوص المرقاة" الصادرة حديثا عن منشورات اتحاد الأدباء العراقيين للقاص محمد حيّاوي تجربة سردية متقدّمة في القصة العراقية المعاصرة، وهو العارف بفنّ القصة منذ زمن بعيد، وهو أيضًا المتأنّي في كتابتها. يتأمّل الحياة من نافذته أكثر ممّا يكتب، لكنّه يحيك خيوط القصّة من تلك التأملات العميقة، يكتبُ قصصًا أقلّ ما يقال عنها أنّها لاذعة كطعم شراب الدواء في فم طفل عليل.

وحيّاوي هنا، في هذه المجموعة، نسجَ قصصَ كتابه هذا لتبقى في ذاكرة القارئ، بعد إتمام القراءة وغلق الكتاب، كما تركت قصة "الأرجوحة" لمحمد خضير مثلا أثرها بعد القراءة، ذلك هو فنّ القصة الذي يطمح إليه كل كاتب يخوض غمار هذا الفنّ المركّب. لذا فهو هنا يسجّل اختلافه عن بقية رهط كتّاب القصة المعاصرين.

غالبا ما تذكرنا قصصه بما نسيناه من فعل الحروب الحارقة، كالّذي يعثر على قرص هويته المعدني الحربي بعد سنين، فتنسال منه تفاصيل ما فاته من الذكريات، وإذ تنفتح قصصه الجديدة على فضاءات خام، مثل أرض بور لم تطأها قدم قاص آخر، فهي تتجاوزُ الواقعي المباشر لتنفذ إلى عمق الذاكرة، كي ترسم المشاهد المترادفة مثل لوحة رسام محترف لم تكتمل، وهي بذلك تؤسس عالمًا تتشابك فيه الذاكرة بالحلم، والأسطورة بالتاريخ، والواقع بالفانتازيا. منذ الصفحات الأولى في قصّة "حصار الحلزون" يدرك القارئ أنه أمام نصوص لا تنشغل برواية الحدث بقدر انشغالها بإنتاج المعنى المضمر في خفايا اللغة، فالقصة هنا ليست حكاية تقليدية، وإنما بناء جمالي معقد يعتمد على الإيحاء والرمز والانزياح اللغوي بهدف بلوغ المعاني المجهولة، ليستدعي قارئًا فاعلا يمتلك القدرة على فك الشفرات وتأويل العلامات.

يؤثث حيّاوي عالمه السردي على ذاكرة عراقية، منها ذاكرة ما خلفته الحروب، لكنّها تحمل سمة الهويّة العراقية، بلغة نقيّة لا تحمل الندوب أو الشحوم الزائدة، لغة مكثّفة لكنّها تبوح بما يناسب البوح بالقول، وهو القاص القدير ذو التراث القصصي الثّر، لكنّه لا يقدمها بوصفها حدثًا تاريخيًا أو وثيقة سياسية للإدانة، بل يحولها إلى تجربة وجودية تترك آثارها العميقة في الإنسان والمكان. فالحرب في هذه النصوص ليست معركة انتهت ونتذكر وقائعها في المقهى، إنما قوة خفيّة تواصل تشكيل الشخصيات والأمكنة بنسيج من خيوط محكمة بدقة نسيجها، حتى تبدو القرى، والأهوار، وبساتين النخيل، والخرائب، والطرق المهجورة، فضاءات مثقلة بالموت والغياب والانتظار.

من أبرز السمات الفنية في المجموعة قدرة الكاتب على مزج الواقعي بالعجائبي، من دون افتعال، معتمدا على قوة المنطق باستدعاء الذاكرة فقط، فالقارئ ينتقل بسهولة بين ما هو ممكن الحدوث وما هو متخيّل، من دون أن يشعر بانقطاع في منطق السرد وتبريراته، إذ تظهر الأشجار النازفة، والحقائب التي تعود بعد سنوات، والشخصيات الأسطورية التي تعبر الزمن، بوصفها امتدادات طبيعية لعالم فقد توازنه بفعل الحرب والمنفى، كطفل يدخن السجائر ويشرب الخمر تبريرا لبذاءة الحياة من حوله. إن هذه العناصر لا تؤدي وظيفة زخرفية، وإنما تكشف عن رؤية فلسفية-سردية ترى أنّ الواقع نفسه أصبح أكثر غرابة من عناصر الخيال.

«نصوص المرقاة» تعد إضافة مهمة إلى القصة العراقية المعاصرة، لأنها تقدم تصورا جماليا مختلفا للسرد بعيداً عن المباشرة والتقريرية

تبرز الأسطورة بوصفها أحد أهم مرتكزات البناء الفني في قصص حيّاوي الأخيرة استخداما فنيًا حديثًا، فاستدعاء الشخصيات السومرية والرموز الرافدينية لا يأتي بهدف استحضار الماضي المجرد، بل لإقامة حوار بين الحضارة القديمة والإنسان العراقي المعاصر المتهالك، ويمنح هذا التداخل النصوص عمقًا حضاريًا يجعل الماضي مرآة مقعرة للحاضر الغائم، ليؤكد استمرارية الأسئلة الإنسانية المتعلّقة بالموت والحب والخلود والبحث عن المعنى الذي غالبًا ما يكمن في التفاصيل الصغيرة لأحد عشر نصًا مرسومًا بعناية ودقّة الصائغ.

أما اللغة فهي من أهم عناصر تميّز هذه المجموعة. إذ يميل حيّاوي إلى لغة شعرية مكثفة، غنية بالصورة والاستعارة والإيقاع الداخلي، لكنّها لا تنفصل عن السرد، بل تصبح وسيلة لبناء الحالة النفسية للشخصيات. الأمر الذي جعله يطلق تسمية "نصوص المرقاة" بديلا عن جنس "قصص المرقاة" كالعارف بأمره ومهنة الاختيار الدقيق، ويلاحظ أيضًا حضور واعٍ للحواس، لاسيّما الشم واللمس والبصر، بوصفها الأدوات الحسيّة للكشف عن العالم الداخلي للشخصيات، الأمر الذي يضفي على النصوص بعدًا حسيًا وإنسانيًا يُدرَك من خلال سطور القص التي بدت محبوكة الصنعة كسجادة فارسية يشتغل عليها الحائك لسنين طويلة.

من الناحية السردية، اعتمد الكاتب على تعدد مستويات الزمن، فتتشابك ذكريات الماضي مع الحاضر، والأحلام مع الوقائع بتشابك فنّي خلّاق، مما يمنح البناء السردي مرونة كبيرة، إضافة إلى دفق حلاوة التشويق، ويجعل الزمن النفسي أكثر حضورًا من الزمن الخطي، ليكرّس عنصر الشدّ الخفي حتى بلوغ النهايات التي غالبًا ما تظل مفتوحة لإشراك القارئ في تأويل المصائر، فاسحة المجال أمام القارئ لاستكمال عنصر الدلالة، وهو خيار فنّي ينسجم مع طبيعة النصوص التأويلية.

على مستوى الشخصيات، لا يسعى الكاتب إلى تقديم أبطال استثنائيين، إنما يرسم شخصيات قلقة، تعيش على حدود الواقع والحلم، وتحمل جراحًا داخلية أكثر من حملها أفعالاً خارجية. لهذا تبدو الشخصيات في الكثير من الأحيان رموزًا للإنسان العراقي المُثقل بذاكرة الحرب والمنفى والخسارات، أكثر من كونها -الشخصيات- أفرادا بملامح واقعية واضحة التقاسيم. فجاءت النصوص كعزف منفرد بآلة موسيقية غرائبيّة.

مع ما تتمتع به المجموعة من نضج فني، فإنّها لا تخلو من بعض الملاحظات النقدية؛ كالإفراط في الوصف والتأمّل الفلسفي يؤدي أحيانا إلى إبطاء الإيقاع السردي، كما أن كثافة الرموز والإحالات الأسطورية قد تجعلان بعض النصوص أقل قربًا من "القارئ العام" وأقصد هنا القارئ المتعجّل لبلوغ الهدف في النهايات، فقصص حيّاوي أو لنقل نصوصه تحتاج من القارئ خبرة ودراية وقدرة على التأمل غير المتسارع لبلوغ النهايات، لأنّها تتطلب خلفية معرفية وثقافية لفهم طبقاتها العميقة. كذلك تميل بعض القصص إلى تغليب المناخ الشعري على الحركة الدرامية، وهو ما قد يقلّل من حيوية الحدث في بعض المواضع. لكن مع ذلك، فإن هذه الملاحظات لا تنتقص من القيمة الفنية للمجموعة، بل تؤكد طبيعة مشروعها الجمالي الذي يراهن على التجريب والابتكار، أكثر من رهانه على الحكاية التقليدية.

من ورشة الخياطة إلى منصات التكريم: مسيرة أحمد بولان تلهم صناع السينما العربية

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

احتفت مدينة الدار البيضاء مساء الجمعة 17 يوليو الجاري، في افتتاح الدورة السابعة من مهرجان الفيلم العربي، وسط حضور فني وإعلامي عربي ودولي، بتكريم خاص لأحد أبرز وجوه السينما المغربية والعربية، المخرج والمنتج والسيناريست أحمد بولان.

ويأتي تكريم الفنان أحمد بولان تقديراً لمسيرته الفنية الطويلة والحافلة بالعطاء، ولأدواره المؤثرة التي تركت بصمة واضحة في الذاكرة السينمائية العربية. ويُنظر إلى هذا التكريم كاعتراف بأهمية الفنانين الرواد في دعم الجيل الجديد من المبدعين.

انطلق بولان في عالم الفن من مدينة سلا، حيث وُلد وترعرع، ليصبح من بين أبرز الشخصيات في السينما والمسرح المغربي. بدأ مسيرته الفنية في التمثيل من خلال العمل في المسرح القومي المغربي وفرقة الإذاعة والتلفزيون القومية في الرباط، واكتسب خبرة واسعة في أداء الشخصيات وتقديم العروض المسرحية والتلفزيونية. ومع مرور الوقت اتجه إلى عالم الإنتاج، مستثمرًا خبرته العملية في صناعة الأفلام، قبل أن يتوسع ليغزو مجالي الكتابة والإخراج، فتميز بقدرته على الجمع بين الإبداع الفني وإدارة الأعمال السينمائية.

وقدّم مجموعة من الأعمال السينمائية المميزة التي تركت بصمة واضحة في المشهد الفني المغربي، من بينها فيلم "علي، ربيعة وآخرون"، و"أنا وأمي وبثينة"، و"ملائكة الشيطان"، و"عودة الابن"، و"جزيرة ليلى"، حين تولّى في هذه الأعمال مهام الإخراج وكتابة السيناريو، كما قام بإنتاج بعضها، ما أتاح له التحكم الكامل في رؤيته الفنية وتحويلها إلى واقع ملموس على الشاشة. كما واصل ممارسة التمثيل في أعمال متنوعة، من أبرزها فيلمه "كزابلانكا دكار"، ومسلسل "باب البحر" في دور صلاح الصنهاجي، ومسلسل "الجاسوس" في شخصية أبومحمود، إضافة إلى مشاركاته في أعمال أخرى مثل "سجناء الشمس" و"ما تشاء لولا" و"خفافيش قبيحة" و"أوشتام".

وعرف بولان بأسلوبه الجريء في طرح المواضيع السينمائية، وبقدرته على تقديم شخصيات معقدة ومليئة بالتناقضات، ما جعله من بين المخرجين والكتاب الأكثر إثارة للجدل والمتابعة من قبل النقاد والصحافيين. وبفضل تنوع لغاته التعبيرية وإتقانه العربية والفرنسية، استطاع أن يعبر في أعماله عن غنى الثقافة المغربية وتعدد أبعادها، مؤكدًا مكانته كفنان شامل يمتلك موهبة فذة في الإخراج والكتابة والتمثيل والإنتاج، وترك بصمة لا تمحى في تاريخ السينما المغربية.

وأكمل بولان تكوينه الأولي في الفن الدرامي، واتخذ قرارا جريئا بسفره إلى إيطاليا لممارسة صناعة السينما، تلك الخطوة التي أظهرت طموحه وحرصه على تطوير مهاراته الفنية على المستوى الدولي والاطلاع على أحدث التقنيات السينمائية العالمية، غاص في عالم الفن السينمائي واستوعب أسرار صناعة الأفلام من خلال الممارسة المكثفة والملاحظة المباشرة للأساتذة والمخرجين.

عند عودته إلى المغرب لم يكتفِ بدور واحد أو تخصص محدد، إنما انطلق في مسيرة متنوعة امتدت إلى مجالات التصوير السينمائي والإعلانات والإنتاج، فتنقل بين أدوار متعددة تراوحت بين الممثل الموهوب والمساعد المخرج الدقيق، الأمر الذي أظهر طموحه اللامحدود وقدرته على التعامل مع جوانب مختلفة من العملية الفنية.

ويحمل أحمد بولان في قلبه فخرا بمدينة سلا وجذوره المغربية، فترتبط شخصيته بهذه المدينة التي تحتل مكانة مميزة في التاريخ المغربي والإسلامي. يشعر بارتباط قوي بتاريخ سلا الذي يمتد عبر حقب زمنية متعددة، فيبدأ من العهد الروماني القديم، ثم يمر عبر فترات القرصنة الشهيرة والتجارة البحرية النشطة، إلى العصور الحديثة. هذا التاريخ الحافل بالأحداث شكل وعي بولان وأثر على رؤيته للعالم وفهمه لهويته الثقافية. إنه يدرك تماماً أن أبناء هذه المدينة يحملون في أعماق روحهم فخراً بماضيهم وحضارتهم، وهذا الفخر قد يُعبر عنه بطرق تثير فضول الآخرين وقد تثير شعوراً بالإقصاء لديهم، غير أن بولان يرى في هذا التعبير عن الهوية والانتماء أمرا طبيعيا وضروريا.

كانت طفولته حافلة باللحظات السعيدة والذكريات الجميلة التي قضاها في بيئة عائلية دافئة وثقافية، فنما في أحضان روابط عائلية قوية، وشاركت عائلته معه احتفالاته وزياراته إلى المقامات والأماكن المقدسة. إلا أن هذه الطفولة كانت تحمل في طياتها صراعات داخلية متنوعة، فعاش بولان مقاومة للسلطة الأبوية وحاول جاهداً كسر القيود الاجتماعية التي تحيط به، كما تأثر بالتفاعل الثقافي مع الآخرين.

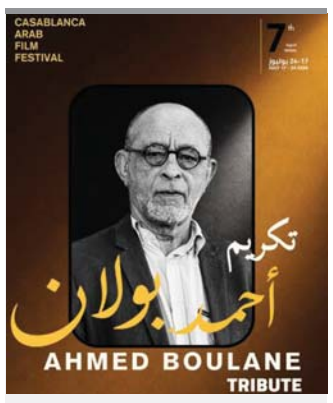

أحمد بولان مثال حي يحتذي به جميع الشباب الذين يسعون نحو تحقيق أحلامهم وطموحاتهم في عالم الفن والإبداع

وعاش أحمد بولان تجارب شخصية حافلة بالأحداث المليئة بالآلام والمآسي، خاصة خلال فترة الستينات من القرن الماضي. كانت هذه الفترة بمثابة صدمة ليس فقط لبولان وعائلته، بل للمغرب كله، فشهد الزلزال المأساوي الذي ضرب مدينة أكادير في عام 1960، وكانت لهذا الحدث تداعيات نفسية واجتماعية امتدت إلى كل أنحاء البلاد. تلا هذه الكارثة حدث آخر وهو وفاة الملك محمد الخامس، الأمر الذي خلق شعوراً جماعياً بالصدمة والفقدان في نفوس جميع المغاربة، وترك جراحاً في القلوب. سجل بولان بحساسية الأثر الذي تركته هذه الأحداث على حياته الشخصية وحياة عائلته، فامتدت آثار هذه الكوارث إلى داخل بيت بولان، فظهرت مشاهد محبطة تماماً مثل محاولة أحد أفراد عائلته الانتحار لأسباب نفسية ناتجة عن هذه الكوارث.

ويبين بولان كيف تتفاعل الأحداث التاريخية والجماعية مع حياة الأفراد الشخصية، وكيف تؤثر بشكل مباشر على أحوالهم اليومية والاجتماعية. كما تعقدت العلاقات الأسرية لأسباب من الاختلافات السياسية بين أفراد العائلة الواحدة، فانقسمت الولاءات والآراء السياسية بين مختلف الأحزاب، وخاصة بين الحزب الديمقراطي وحزب الاستقلال، الأمر الذي خلق صراعاً داخلياً ومحبطاً ضمن الأسرة الواحدة. هذه الصراعات السياسية والاجتماعية أثرت على علاقة بولان بوالده، فبدأ يشعر بخجل من آراء والده السياسية، وأيضاً من مظهره وتصرفاته التي كانت تثير انتباه الآخرين وتجعله محط نقد واستغراب. ساءت الأحوال عندما فقدت العائلة الكثير من ممتلكاتها المادية، الأمر الذي أدى إلى أزمة نفسية واجتماعية، فاضطر بولان إلى ترك بيته والعيش مع عمه، وهذا الانفصال والتشرد من بيته زاد من شعوره بالعزلة والفقدان والحرمان.

ويصف بولان في سرده الشخصي تجربة مليئة بالمرارة واليأس، فواجه في فترة من فترات حياته فشلاً دراسياً وضغوطاً عائلية من جميع الاتجاهات. كانت والدته منشغلة برعاية إخوته الأصغر سناً، الأمر الذي جعله يشعر بالإهمال والحرمان من الاهتمام الكافي، وبدأ يشعر أنه عبء على عائلته. جاءت اللحظة الأشد قسوة عندما طُرد من المدرسة، وهو حدث كسر روحه وحطم أحلامه التعليمية، وكان هذا الطرد بمثابة رسالة قاسية له بأن المجتمع والنظام الاجتماعي الصارم لا يريدان له النجاح. كان هذا الطرد مقدمة لمرحلة قاسية من حياته، فاضطر إلى التخلي عن براءة الطفولة والدخول في عالم الشغل والكفاح من أجل البقاء، وتوجب عليه أن يتخذ قرارات صعبة وهو لا يزال صغير السن وغير مستعد نفسياً لها.

وجد نفسه يعمل في ورشة خياطة، فيقضي ساعات طويلة في العمل الشاق بجسد صغير وروح مكسورة. غير أنه لم يستسلم لظروفه القاسية، إذ بدأ يفكر في مستقبله ويحلم بشيء أفضل. اكتشف طموحه الفني الكامن في داخله، وحلم بأن يصبح مغنياً أو ممثلاً، وهذا الحلم كان بمثابة شعاع أمل في ظلام حياته. كما يعالج بولان في سرده الصعوبات التي تواجه الشباب الفقير في المجتمعات المغربية والعربية، فتؤثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية على جودة التعليم والفرص المتاحة، خاصة في الأسر التي تعاني من الفقر. يوضح سرده كيف يُجبر الأطفال في هذه الظروف على ترك مقاعد الدراسة والدخول إلى سوق العمل في سن مبكرة جدا.

وشكلت لحظات لقاء بولان مع الممثلين والكتاب المسرحيين الموهوبين نقاط تحول جذرية في مسيرة حياته، فغيرت هذه اللقاءات مجرى مصيره تماماً ولم تترك حياته كما كانت عليه. من خلال هذه اللقاءات القيمة والمصادفات السعيدة، حصل بولان على فرص فنية لم يكن يتوقعها أو يحلم بها، فأتيحت له فرصة الانضمام إلى مشاريع فنية متميزة أظهرت موهبته الحقيقية وقدراته الإبداعية التي ظلت مخفية تحت طبقات الألم والحرمان. اكتشف بولان من خلال هذه التجارب أن المعرفة والثقافة والعلاقات الإنسانية الحقيقية تلعب دوراً أساسياً في تشكيل شخصية الفنان وصقل موهبته.

وأدرك أيضاً أهمية العلاقات الإنسانية الدافئة والداعمة في حياة الفنانين الشباب الذين يسعون لتحقيق أحلامهم، فالمساعدة والتشجيع من الآخرين قد يكونان الفارق بين النجاح والفشل.

ويُعتبر أحمد بولان مثالا حيا يحتذي به جميع الشباب الذين يسعون نحو تحقيق أحلامهم وطموحاتهم في عالم الفن والإبداع. تجربة حياته من البدايات المتواضعة إلى النجاح الحالي توضح كيف أن المثابرة والإصرار والإبداع الحقيقي قادرة على التغلب على جميع التحديات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

تكريم مستحق

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

زينب القادري: قصة امرأة صنعت من حلم الكسكس جسرا للمحبة والتضامن في شوارع باريس

«ملكة الكسكس» استطاعت أن تصنع موجة خير تتخطى حدود الحي والمدينة

استطاعت المغربية زينب القادري الملقبة بـ"ملكة الكسكس" أن تحول حلمها البسيط إلى مبادرة إنسانية تحدت حدود الحي والمدينة الباريسية لتبرز أن المبادرات الإنسانية على بساطتها قادرة على بناء جسور التواصل بين الناس. كان حلم زينب تقديم طبق الكسكس للمحتاجين في الشوارع، كرسالة تضامن ومحبة فنجحت في حلمها، ثم طورت مبادرتها ووسعت نطاق عملها ليشمل توزيع الأغطية والملابس الشتوية على المشردين والمحتاجين.

الطيب ولد العروسي
كاتب جزائري

باريس - في قلب العاصمة الفرنسية باريس، حيث الازدحام والحياة السريعة، تنبثق قصة إنسانية تحمل دفئًا وصدقًا يفوقان كل التحديات. هي قصة السيدة زينب القادري، امرأة مهاجرة من المغرب، تمكنت من تحويل حلم بسيط إلى مبادرة تنبض بالحب والعطاء، حتى أصبحت تُعرف في الأحياء الباريسية وعلى منصات التواصل الاجتماعي باسم "ملكة الكسكس". لم يكن هذا اللقب مجرد ترف أو دلالة على مهارتها في الطهي، بل هو شهادة على القدرة الكبيرة للمبادرات الإنسانية على بناء جسور التواصل والتضامن بين الناس.

> الطبخ بالنسبة لزينب كان وسيلة للتواصل مع أمها، وأيضا مدرسة تعلمت فيها الصبر والإصرار والفن والاهتمام بأدق التفاصيل

ولدت زينب في عائلة مغربية متواضعة، في إحدى القرى التي يتغلغل فيها عبق الطبيعة وأصالة التقاليد. كانت الأسرة بسيطة، لكنها غنية بالحب والقيم التي تراكمت عبر أجيال. نشأت بين يدي والدتها الكفيفة، التي لم يكن لديها سوى قوتها وقلبها الكبير. تعلمت زينب فنون الطبخ منذ نعومة أظافرها، حيث كانت تساعد والدتها في إعداد وجباتها اليومية. كان الطبخ بالنسبة لها وسيلة للتواصل مع أمها، كما كان أيضا مدرسة تعلمت فيها دروس الصبر والإصرار والفن والاهتمام بأدق التفاصيل. خلال سنواتها الأولى، أدركت زينب أن الطبخ ليس مجرد تحضير وجبة، بل لغة تعبير عن المحبة والاحتواء. وكان الكسكس، الطبق المغربي الأصيل، يحتل مكانة خاصة في قلبها، فقد كان رمزًا للعائلة والاحتفال، وذاكرة حية للأيام الجميلة التي قضتها في مطبخ والدتها. هذه الذكريات رافقتها عندما قررت الهجرة إلى بلاد الغربة.

تحديات ومكونات الحلم

استقرت زينب في باريس، المدينة التي لا تنام، حيث واجهت تحديات وحواجز لا حصر لها. لا يكفي أن تكون ماهرة في الطهي، فأن تكون مهاجرة يعني أن تتعامل مع ثقافة جديدة، لغة مختلفة، وضغوط مادية كبيرة. عملت زينب في تنظيف المكاتب، وظيفة لا تُطاق أحيانًا من شدة التعب، لكنها كانت مصدر رزقها الوحيد.

لكن قلبها لم ينجرف مع صخب المدينة، بل ظل يحتفظ بحلم لطالما راودها: أن تقدم شيئًا بسيطًا يمكنه أن يصنع فرقًا كبيرًا في حياة الناس. حلمها كان تقديم طبق الكسكس للمحتاجين في الشوارع، كرسالة تضامن ومحبة في زمن تكاثرت فيه الوحدة والغربة.

ذات ليلة، رأت زينب حلمًا مؤثرًا: كانت تحضر الكسكس في مطبخ بسيط، وتخرج إلى الشوارع حيث كان الناس يجتمعون حولها بابتسامات حانية، يتقاسمون الطعام والفرح. استيقظت من نومها بقناعة عميقة بأن عليها تحويل هذا الحلم إلى واقع. لم يكن الأمر بسيطًا، لكنها بدأت بتجهيز أول وجبة منها في مطبخ منزلها وحدها. تلك اللحظة كانت بداية لسلسلة من الأحداث التي غيرت مجرى حياتها وحياة كثيرين حولها.

بدأت تحضر الكسكس بانتظام عدة مرات في الأسبوع، ثم تأخذ صحنها الكبير إلى الشارع لتوزيعه مجانًا على الجميع، خصوصًا المحتاجين منهم.

إعداد وجبة الكسكس التقليدية مهمة ليست بالسهلة، فكل عنصر فيها يحتاج إلى دقة وعناية. تبدأ زينب يومها بزيارة السوق حيث يعرفها التجار جيدًا، يرحبون بها بلطف ويقدمون لها أفضل الخضراوات واللحوم، أحيانًا بأسعار مخفضة أو حتى كهدايا صغيرة لبث روح الدعم والتشجيع. تشتري كميات كبيرة من الجزر والكوسا والبطاطا الحلوة واللفت والحمص، بالإضافة إلى أجود أنواع السميد الذي تفخر بأنها تعتني به بعناية فائقة. السميد، العنصر الأساسي في طبق الكسكس، يتم غسله وفركه ويُبخر أكثر من مرة حتى يصبح هشًا وخفيفًا، وهذه الطريقة التقليدية التي تحرص عليها تعكس روح الطبق الأصيلة. العملية تستغرق ساعات طويلة في المطبخ، رغم أنها ترهقها بعد يوم عمل متواصل، لكن شغفها وحبها لما تفعله يدفعانها إلى الاستمرار دون ملل. لا تتحرك زينب إلا وقد ملأ قلبها الفرح، لأنها تعلم أن كل طبق ستقدمه يحمل رسالة حب وتضامن لكل من يحصل عليه.

طابع إنساني

بمجرد أن تحمل أواني الكسكس الثقيلة وتصل إلى المكان الذي اختارته، تبدأ اللحظة الساحرة. يقوم الناس بالتجمع حولها، بعضهم يأتون بدافع الفضول، والآخرون يأتون للوصول إلى وجبة دافئة في يوم بارد أو للتخفيف من جوعهم وقسوة الحياة. لا يكون الأمر مجرد توزيع طعام، بل هو لقاء إنساني حميم، لقاء بين أرواح تحتاج إلى أن تشعر بأنها ليست وحدها. تزين هذه اللحظات أحيانًا حركات بسيطة من العزف أو حضور موسيقي يضيف أجواءً احتفالية، يصبغ المكان بالبهجة. وتتبادل الأحاديث والضحكات، ويبدأ الغرباء بالتعرف على بعضهم، فتتولد صداقات جديدة وأمل يتجدد.

انتشرت قصة زينب بسرعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث بدأ الناس يتابعونها ويشاركون لحظاتها تأثرًا بروحها الإنسانية. حصدت مئات الآلاف من المتابعين على تيك توك وإنستغرام، الذين أعجبوا بتواضعها وعفويتها وحرصها على نشر رسالة المحبة من خلال الكسكس. لم تقتصر المتابعة على مجرد الترحاب، بل تطور الأمر إلى دعم مادي ومعنوي يساعدها على الاستمرار في التوسع في مبادراتها. أصبحت هاشتاغات مثل «كسكس_المشاركة تشكل منصة تواصل تجمع بين الناس من خلفيات مختلفة تتقاسم نفس الرغبة في الخير والمحبة.

رمز نبيل للوحدة الإنسانية المشتركة

ومع مرور الوقت، لم تقتصر جهود زينب على تقديم وجبات الكسكس فقط، بل وسعت نطاق عملها ليشمل توزيع الأغطية والملابس الشتوية على المشردين والمحتاجين خلال الفصول الباردة. استثمرت دعم المجتمع والمتابعين لتنظيم حملات تضامنية تدخل الدفء على سكان الشوارع في أسوأ الظروف. ظل هدفها واضحًا دائمًا: إدخال البسمة والسرور على وجوه من يعانون من الوحدة والعوز، باستخدام أبسط وسائل دعم ممكنة وأكثرها إنسانية.

الإعلام وتأثير المبادرة

حظيت قصة زينب باهتمام واسع من وسائل الإعلام الفرنسية التي روت قصتها كرمز للأمل والتآزر داخل مجتمع متنوع الثقافات والخلفيات. بثت قناة "فرانس2" تقريرا تناول قصتها وأسلوب حياتها، فاستقطب ذلك اهتمامًا أكبر وعزز مكانتها كمثال يُحتذى به في العمل الخيري الشعبي. أصبحت المبادرة دراسة حالة واقعية عن كيف يمكن للفرد الواحد أن يحدث فارقًا حقيقيًا إذا ما آمن برسالته وعمل بجد وإخلاص.

وفي الوقت الذي تعاني فيه الثقافات المغاربية من نظرة نمطية أحيانا، جاءت مبادرة زينب لتُبرز صورة أخرى لطيفة وحقيقية مبنية على الكرم والطيبة والاحترام. الجمع بين الثقافات والصحبة في لحظة يملؤها الدفء الإنساني ساهم في تعزيز التفاهم المتبادل وكسر الحواجز الاجتماعية والثقافية. الكسكس، ذلك الطبق الشعبي العريق، تحول إلى رمز نبيل للوحدة الإنسانية المشتركة، متجاوزا حدود الجغرافيا والهوية.

نكهات فواكه العُلا: تجربة سياحية تجمع ثراء الواحة الزراعية وفنون الطهي المحلية

العُلا (السعودية) - تشهد محافظة العُلا، في المملكة العربية السعودية، خلال شهر يوليو انطلاق موسم الفواكه الصيفية، أحد أبرز المواسم الزراعية التي تحتفي بوفرة الإنتاج وتنوع المحاصيل، في امتداد لإرث زراعي عريق ارتبط بالإنسان والأرض عبر قرون طويلة.

ويُسلط الموسم الضوء على عدد من الفواكه التي تشتهر بها مزارع العُلا، من بينها العنب والمانجو والتين والرمان، حيث تبدأ هذه المحاصيل تباعًا في الوصول إلى مراحل النضج والقطاف، وسط جهود متواصلة من المزارعين للمحافظة على جودة الإنتاج واستدامته.

وتعكس الفواكه الصيفية في العُلا ثراء المشهد الزراعي بالمحافظة وتنوع منتجاته، في ظل بيئة طبيعية أسهمت في إنتاج أصناف متعددة تحظى بإقبال من الأهالي والزوار خلال موسم الحصاد.

وتقدم محافظة العُلا خلال موسم الفواكه الصيفية تجربةً سياحية تجمع ثراء الواحة الزراعية وفنون الطهي المحلية، حيث تنتقل محاصيل الموسم من بساتين النخيل والمزارع إلى موائد المطاعم والمقاهي التي تحتضنها البيوت الطينية التاريخية، أو تتوسط واحات النخيل، أو تقع في المنتجعات الصحراوية، لتمنح الزوار رحلةً يتعرفون من خلالها على نكهات العُلا الأصيلة في بيئات تعكس هويتها الزراعية والثقافية، وفق ما أوردته وكالة الأنباء السعودية.

ويستمر موسم الفواكه الصيفية حتى 22 يوليو الجاري، ويشهد ذروة إنتاج عدد من أشهر محاصيل العُلا، وفي مقدمتها البرتقال والعنب والمانجو والتين والرمان، التي تشتهر بها مزارع الواحة، إذ تُقطف الثمار في موسمها وتُقدَّم طازجة، أو تدخل في إعداد أطباق وحلويات ومشروبات تستلهم المطبخ المحلي بروح عصرية، مع المحافظة على أصالة المكونات ونكهاتها الطبيعية.

وتُعد المطاعم التراثية التي تحتضنها البيوت الطينية في البلدة القديمة إحدى أبرز المحطات التي تستعرض الموروث الغذائي للعُلا، حيث تُقدَّم الأطباق وسط أجواء تستحضر تاريخ المكان وعمارة الواحة، فيما توفر المطاعم والمقاهي المطلة على المزارع، والمنتجعات الصحراوية، تجارب تذوق تجمع النكهات المحلية وإطلالات النخيل والتكوينات الصخرية والطبيعة الصحراوية التي تتميز بها المحافظة.

وتحضر تمور العُلا في عدد من الأطباق والمخبوزات والحلويات، إلى جانب استخدامها في وصفات مبتكرة تعكس مكانة النخلة بوصفها رمزًا للواحة وركيزةً في تاريخها الزراعي، فيما توظف الحمضيات المحلية في إعداد السلطات والمشروبات والأطباق الخفيفة، مستفيدةً من تنوع أصنافها وجودتها، إلى جانب حضور المانجو والعنب والتين والرمان في قوائم الطعام التي تحتفي بمحاصيل الموسم.

ولا تقتصر التجربة على تذوق النكهات، بل تمتد إلى التعرف على رحلة المحصول من المزرعة إلى المائدة، وما يرتبط بها من ممارسات زراعية متوارثة أسهمت عبر الأجيال في تشكيل هوية العُلا الغذائية، وجعلت منتجات الواحة عنصرًا رئيسًا في التجربة السياحية التي تقدمها المحافظة لزوارها. ويُعد سوق المزارعين بالمنشية إحدى أبرز محطات الموسم، إذ يتيح للزوار شراء الفواكه الطازجة مباشرةً من المزارعين، والتعرف على أصنافها المحلية، وتذوقها في ذروة نضجها، إلى جانب الاطلاع على منتجات الأسر المنتجة والمشروعات المنزلية التي تعتمد في صناعاتها على محاصيل العُلا الموسمية.

> الثمار تقطف في موسمها وتُقدَّم طازجة، أو تدخل في إعداد أطباق ومشروبات تستلهم المطبخ المحلي بروح عصرية

ويجسد موسم الفواكه الصيفية، الذي يُعد باكورة مواسم "خيرات العُلا" السنوية، التكامل بين الزراعة والسياحة والثقافة، من خلال تحويل محاصيل الواحة إلى تجارب ضيافة متكاملة تعكس أصالة المكان، وتسهم في دعم المزارعين، وتعزيز القيمة المضافة للمنتجات المحلية، وإبراز الموروث الزراعي للعُلا بأساليب معاصرة تمنح الزائر تجربة ترتبط بالمكان وتاريخه ونكهاته.

كما يقدم الموسم مجالا لرواد الأعمال والأسر المنتجة لاستغلال المحاصيل المحلية في ابتكار سلع غذائية ومعالجة ذات قيمة مضافة، مثل العصائر والمربيات والفواكه المجففة والحلويات وما شابه، مما يسهم في تنويع أوجه الاستخدام وخلق استثمارات مرتبطة بالزراعة المحلية. وبحسب مسؤولين، يظهر موسم الفواكه الصيفية تكامل القطاع الزراعي والاقتصادي في المحافظة، حيث يربط بين مراحل الإنتاج والتسويق والمعالجة الغذائية، ما يزيد من الاستفادة من المحاصيل المحلية، ويساعد على توسيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ويعمل على تحسين أداء سلاسل القيمة في المجال الزراعي. وبحسب المنظمين، يتجاوز إنتاج مزارع العلا من الفواكه الصيفية 4.900 طن كل عام، وتضم المنطقة أكثر من 7 آلاف مزرعة يعمل فيها نحو 5 آلاف مزارع، يستفيدون من التراث الزراعي الموروث والطبيعة التي تتميز بها العلا، مما أدى إلى تميز منتجاتها من حيث الجودة والتنوع. ويُعد موسم الفواكه الصيفية أول مواسم "خيرات العُلا" السنوية، التي تحتفي بالإنتاج الزراعي في محافظة العُلا على مدار فصول السنة، حيث يتبعه خلال الأشهر القادمة موسم العُلا للتمور مع بدء جني المحصول، ثم مواسم أخرى تشمل البرغرينا والحمضيات وعسل العُلا.

ويجسد الموسم توازنًا بين الممارسات الزراعية المتوارثة والتقنيات الحديثة التي تسهم في المحافظة على الموارد الطبيعية وتعزيز استدامة الإنتاج الزراعي، كما يتيح المجال للأسر المنتجة والمشروعات المنزلية الاستفادة من المنتجات الزراعية المحلية وتقديمها في صور متنوعة تعكس الهوية الزراعية للمحافظة.

ويأتي موسم الفواكه الصيفية ليؤكد استمرار العُلا في تقديم نموذج زراعي يجمع بين الإرث والفرص التنموية الحديثة، من خلال منتجات موسمية تعكس تنوع مواردها الطبيعية وثراء بيئتها الزراعية، وتسهم في دعم استدامة القطاع الزراعي وتعزيز حضوره ضمن المشهد الاقتصادي للمحافظة.

نموذج زراعي يجمع بين الإرث والفرص التنموية

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

إسبانيا تعيد كتابة التاريخ وتعتلي العرش العالمي مجددا

استقبال حار بانتظار «الماتادور» احتفالا باللقب

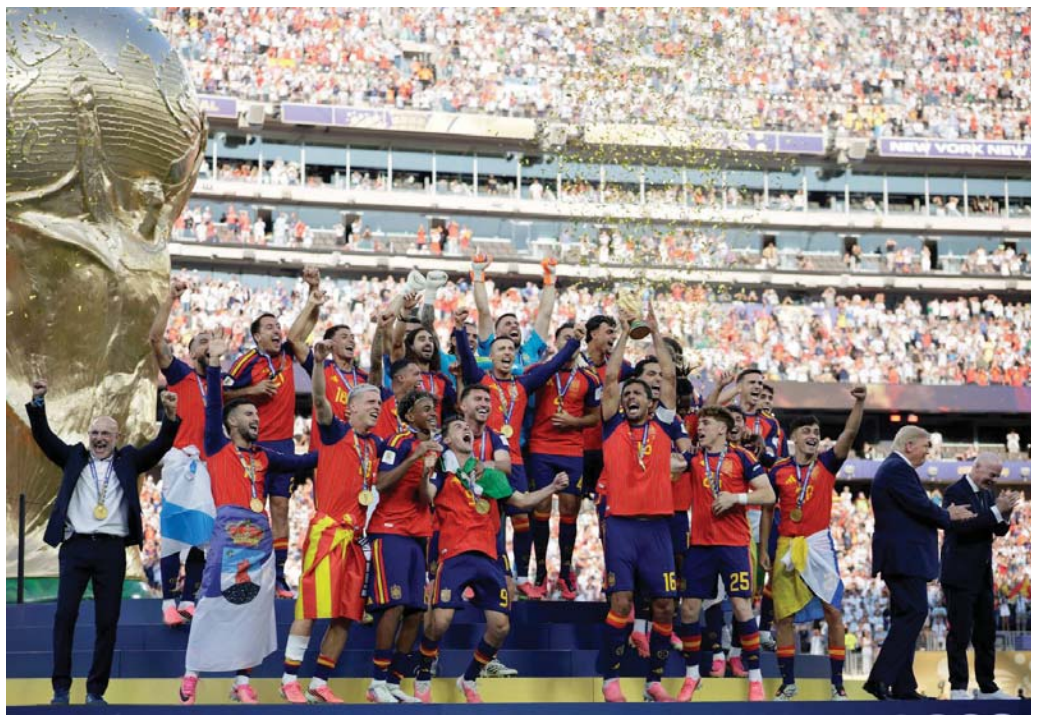

منتخب «لاروخا» بطل العالم

أعاد المنتخب الإسباني لكرة القدم كتابة التاريخ بإحرازه لقب كأس العالم 2026 بالأراضي الأميركية، ليوقّع على ثاني تتويج عالمي بلقب المونديال بعد 16 سنة عندما أحرز اللقب لأول مرة في تاريخه سنة 2010 بجنوب أفريقيا.

نيوجيرسي (الولايات المتحدة) - أثبت المنتخب الإسباني لكرة القدم، أن إنجازه التاريخي في كأس العالم 2010 لم يكن مجرد صدفة، بعدما كرر الإنجاز وتوج بلقبه العالمي الثاني.

مثلما حدث قبل 16 عاما، جمع المنتخب الإسباني بين لقبي كأس أمم أوروبا وكأس العالم، لكنه هذه المرة حقق إنجازات تتجاوز ذلك.

وأصبحت إسبانيا أول دولة تجمع في الوقت نفسه بين لقبي كأس العالم للرجال والسيدات، بعدما جاء الفوز على الأرجنتين 1 – صفر في نهائي مونديال 2026 بعد أيام قليلة من تتويج منتخبي الرجال والسيدات تحت 19 عاما بلقبي بطولة أوروبا.

وبحسب هيئة الإذاعة البريطانية "بي.بي.سي"، أحرزت منتخبات إسبانيا للرجال والسيدات 16 لقبا خلال الأعوام الخمسة الماضية، عبر مختلف الفئات السنية من تحت 17 عاما وحتى المنتخب الأول، ومن بينها أيضا ذهبية كرة القدم في أولمبياد باريس 2024.

جيل جديد

وترك الجيل الذهبي الجديد، بقيادة القائد رودري، الفائز بجائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في البطولة، إلى جانب الشباب باو كوبارسي ولامين يامال ودااني أولمو، بصمته الواضحة، ليخلف جيل أبطال 2010 الذي ضم إيكر كاسياس وأندريس إنييستا وتشافي هيرنانديز وسيرخيو راموس.

وكتبت صحيفة موندو ديبورتيفو "إنها مباراة ستغير تاريخ بلد وجيل كامل إلى الأبد. لم يعد ينبغي لإسبانيا أن تنظر إلى عام 2010 باعتباره تجربة استثنائية لن تتكرر".

وأعرب أوناي سيمون، حارس المرمى، الذي لم يستقبل سوى هدف واحد في ثماني مباريات، وسجل رقما قياسيا في كأس العالم بالحفاظ على نظافة شباكه لمدة 649 دقيقة عبر نسختين متتاليتين، عن أمله في استمرار النجاح.

وقال سيمون "انتظرنا 16 عاما من أجل هذه اللحظة. آمل أن ننتظر هذه المرة أربعة أعوام فقط للحصول على النجمة التالية".

وكانت إسبانيا قد أحرزت لقب كأس أوروبا أيضا عام 2012، لكنها خرجت من دور المجموعات في كأس العالم 2014، ثم من دور الـ16 في نسختي 2018 و2022.

عودة إلى طريق الانتصارات

وعاد المنتخب الإسباني إلى منصات التتويج بإحراز لقب كأس أمم أوروبا 2024، ومنذ ذلك الحين حافظ على سجله خاليا من الهزائم في 38 مباراة، علما بأن خسارته بركلات الترجيح أمام البرتغال في نهائي دوري الأمم الأوروبية العام الماضي تحتسب رسميا تعادلا.

ويقف وراء هذا النجاح المدرب لويس دي لا فوينتي، الذي تولى المسؤولية عام 2023، ولم يخسر سوى ثلاث مباريات من أصل 49 لقاء قاد خلالها المنتخب.

ولم يأت دي لا فوينتي من مسيرة تدريبية ناجحة مع الأندية، بل أمضى سنوات طويلة مدربا لمنتخبي إسبانيا تحت 19 وتحت 21 عاما، وهو ما جعله يعرف عددا كبيرا من اللاعبين منذ سنوات.

وقال دي لا فوينتي "أشعر بفخر كبير بهذا الجيل من اللاعبين الذين نشأوا على هذه الفلسفة، وحافظوا عليها، وطوروها، وقدموا نموذجا يحتذى به كفريق وعائلة. إنهم لاعبون رائعون ويتمتعون بموهبة استثنائية".

> الجيل الذهبي الجديد، بقيادة رودري، الفائز بجائزة أفضل لاعب في البطولة، ترك بصمته الواضحة، ليخلف جيل أبطال 2010

وقال الظهير الأيمن بيدرو بورو "لقد آمن بي منذ اللحظة الأولى، ليس فقط في كأس العالم، بل منذ ظهوري الأول معه في منتخب تحت 21 عاما".

هيمنة في الأداء

وفرض المنتخب الإسباني أسلوبه على جميع منافسيه، معتمدا على الاستحواذ والتمريرات الدقيقة، بعدما بدأ مشواره بتعادل سلبي مفاجئ أمام منتخب الرأس الأخضر، الذي كان يشارك في المونديال للمرة الأولى، قبل أن يبلغ ذروة مستواه بالفوز 2 – صفر على فرنسا، المرشحة الأبرز للقب، في الدور قبل النهائي، ثم التغلب على الأرجنتين بقيادة ليونيل ميسي في النهائي.

وقال سيمون "الحفاظ على هذا الأسلوب في اللعب، وعلى هذا المستوى من التركيز خلال ثماني مباريات، هو ما منحنا اللقب".

وكان الفريق هو النجم، إذ قدم اللاعب الأبرز يامال بطولة هادئة نسبيا بمستواه المعهود، حيث سجل هدفا واحدا وصنع هدفا واحدا، لكن بالنسبة لدي لا فوينتي، كان هناك شيء آخر مهم.

وقال المدير الفني "ممتن للغاية لأنه ضحى بنفسه من أجل مصلحة الفريق".

ووضع الاتحاد الإسباني لكرة القدم برنامجا خاصا للاحتفال بالمنتخب بعد التتويج بكأس العالم 2026، حيث من المتوقع أن تهبط طائرة المنتخب في مطار أدولفو سواريز مدريد – باراخاس، وتتجه البعثة فور وصولها إلى مقر الإقامة في أحد فنادق العاصمة، للحصول على الراحة وتناول وجبة الغداء، استعدادًا لانطلاق الفعاليات الرسمية والشعبية، وفقًا لصحيفة آس الإسبانية.

وتبدأ الزيارات الرسمية للمنتخب الإسباني بعد الوصول بحوالي 3 ساعات، حيث سيكون في استقبال اللاعبين الملك فيليبي السادس وأفراد العائلة المالكة في قصر "لا زارزويلا"، وعقب انتهاء الاستقبال الملكي، تتوجه بعثة الماتادور إلى قصر "لا مونكلوا" للقاء رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز.

وتنطلق الجولة الاحتفالية لمنتخب إسبانيا عبر حافلة مكشوفة في شوارع العاصمة مدريد، وتختتم بالوصول إلى ساحة "سيبيليس" الشهيرة حيث تُقام الاحتفالية الكبرى والمنصة الرئيسية للتواصل المباشر مع المشجعين والاحتفال بالمونديال.

وبحسب التقارير، تسببت الاحتفالات في إسبانيا في وفاة مأساوية، حيث توفي صبي يبلغ من العمر 13 عاما في بلدة رودريغو عندما صدمه عمود حجري لنافورة انهار بسبب وزن العديد من الأشخاص الآخرين.

وأفادت تقارير محلية بإصابة شخصين آخرين جراء سقوط العمود على من كانوا يقفون في مياه النافورة. وأعلنت البلدة الحداد لمدة ثلاثة أيام.

وكان المنتخب الإسباني توج، الأحد، بلقبه الثاني في كأس العالم للرجال، بعدما تغلب على الأرجنتين بهدف نظيف سجله فيران توريس في الوقت الإضافي.

وشهدت المباراة النهائية، التي أقيمت في ولاية نيوجيرسي، حضور الملك فيليب السادس وأفراد من العائلة المالكة، إلى جانب رئيس الوزراء بيدرو سانشيز، الذي كتب عبر منصة إكس عقب التتويج: "نحن أبطال العالم. منتخبنا مذهل. شكرا لك أيها الفريق".

ميسي يودّع كأس العالم بالدموع

نيوجيرسي (الولايات المتحدة) - لم يكن نهائي كأس العالم 2026 بين إسبانيا والأرجنتين مجرد مباراة لحسم اللقب، بل تحول إلى لحظة تاريخية جسدت انتقال الشعلة بين جيلين من عظماء كرة القدم، بعدما خطفت دموع ليونيل ميسي وعناقه مع لامين يامال الأنظار عقب صافرة النهاية.

وتوج المنتخب الإسباني بلقبه العالمي الثاني بعد فوزه على الأرجنتين بنتيجة 1 – 0 بعد التمديد، في مباراة ستظل محفورة في ذاكرة الجماهير لما حملته من مشاهد إنسانية مؤثرة، إلى جانب الإثارة الكروية.

وبعد انتهاء اللقاء، توجه لامين يامال مباشرة إلى ليونيل ميسي، ليتبادل النجمان عناقًا طويلًا ومؤثرًا، في لقطة اعتبرها كثيرون رمزًا لانتقال الراية من أحد أعظم لاعبي التاريخ إلى أحد أبرز نجوم الجيل الجديد.

ويحمل المشهد دلالة خاصة، إذ يجمع بين أسطورة برشلونة التاريخية وأحد أبرز المواهب التي تواصل كتابة تاريخها بقميص النادي الكتالوني.

ورصدت عدسات المصورين ليونيل ميسي وهو يذرف الدموع بعد صافرة النهاية، قبل أن يجلس على أرضية الملعب متأثرًا بخسارة النهائي، بينما كان لاعبو إسبانيا يحتفلون بالتتويج.

كما ظهر النجم الأرجنتيني متأثرًا خلال مراسم التتويج، إذ ذرف الدموع مجددًا أثناء تسلمه الميدالية الفضية من رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جياني إنفانتينو، بحضور الرئيس الأميركي دونالد ترمب.

ورغم تلك المشاهد، بقيت صورة العناق بين ميسي ويامال الأكثر تداولًا على منصات التواصل الاجتماعي، باعتبارها واحدة من أبرز لقطات نهائي كأس العالم.

وترى أوساط رياضية أن هذه المباراة قد تكون الأخيرة لليونيل ميسي مع منتخب الأرجنتين في كأس العالم، بعدما صنع مسيرة استثنائية قاد خلالها منتخب بلاده للتتويج بمونديال 2022، إلى جانب لقبي كوبا أميركا 2021 و2024.

في المقابل، واصل لامين يامال كتابة التاريخ مبكرًا، بعدما أضاف لقب كأس العالم 2026 إلى بطولة أمم أوروبا 2024، ليؤكد مكانته كأحد أبرز نجوم كرة القدم العالمية في السنوات المقبلة.

وأعاد النهائي أيضًا إلى الواجهة الصورة الشهيرة التي التقطها ميسي مع يامال عندما كان الأخير رضيعًا خلال جلسة تصوير خيرية، وهي الصورة التي انتشرت عالميًا منذ تأهل إسبانيا والأرجنتين إلى المباراة النهائية.

وقبل النهائي، علّق ميسي على تلك الصورة قائلًا "التقطت هذه الصورة عندما كان رضيعا، ومواجهته في كأس العالم أمر لا يُصدق. لكنه بلا شك أحد أفضل لاعبي العالم حاليا".

وبين دموع الوداع وعناق المستقبل، اختُتم نهائي كأس العالم بصورة قد تبقى واحدة من أكثر اللقطات رمزية وتأثيرًا في تاريخ اللعبة، حيث ودّعت الجماهير أسطورة صنعت المجد، بينما استقبلت نجمًا يبدو أنه يستعد لكتابة فصل جديد في تاريخ كرة القدم.

وخيم الحزن على عناوين الصحف الأرجنتينية عقب الخسارة، لكن مشاعر الفخر بليونيل ميسي حضرت بقوة في تغطيات وسائل الإعلام، التي رأت أن قائد "الألبيسيليستي" ودع المونديال بصورة تليق بمكانته التاريخية، رغم ضياع حلم النجمة الرابعة.

> عدسات المصورين، رصدت ليونيل ميسي وهو يذرف الدموع بعد صافرة النهاية، متأثرا بخسارة النهائي

واتفقت الصحف على أن ميسي أنهى بطولة استثنائية في سن التاسعة والثلاثين، بعدما سجل 8 أهداف وصنع 4 أخرى، مؤكدة أن إرثه مع المنتخب يتجاوز نتائج مباراة واحدة، وأنه أعاد للأرجنتين مكانتها بين كبار العالم.

وسلطت صحيفة "كلارين" الضوء على الجانب الإنساني في مسيرة قائد الأرجنتين، مؤكدة أن ميسي "حاول حتى اللحظة الأخيرة، وعلم جيلا كاملا معنى عدم الاستسلام بعد أن أعاد للجماهير حب المنتخب الوطني".

وأضافت أن صورة ميسي وهو يرتدي الميدالية الفضية ودموعه تنهمر عقب صافرة النهاية ستظل واحدة من أكثر صور كأس العالم تأثيرًا، معتبرة أن ما قدمه في البطولة يؤكد أنه لا يزال أحد أعظم لاعبي كرة القدم في التاريخ.

أما صحيفة "لا ناسيون" فجاء عنوانها مؤثرا: "دموع القائد.. يبكي ميسي، والأرجنتين تعانقه: شكرا ليونيل، لقد جعلتنا سعداء بما فيه الكفاية".

وأكدت أن المنتخب أخفق في إضافة لقب عالمي جديد، لكنه ترك إرثًا سيظل حاضرًا بعد سنوات من النجاحات التي أعادت الأرجنتين إلى قمة كرة القدم العالمية.

واكتفت صحيفة "كرونيكا" بعنوان واحد يحمل الكثير من المعاني: "أسطورة".

وأشارت إلى أن دموع ميسي بعد المباراة، والتصفيق الحار الذي حظي به من الجماهير، كانا خير تكريم لمسيرة لاعب اقترب من التتويج بكأس عالم ثانية، لكنه خرج مرفوع الرأس.

أوليسه يحسم القائمة الاستثنائية لملوك التمريرات الحاسمة

نيويورك - أسدل الستار على منافسات بطولة كأس العالم لكرة القدم 2026، بمشهد ختامي مثير توج فيه منتخب إسبانيا بطلا للمونديال على حساب الأرجنتين بالفوز 1 – صفر.

وشهدت البطولة، التي شارك فيها 48 منتخبا لأول مرة، لمحات فنية رائعة من بعض اللاعبين، وتألقا كبيرا على مستوى صراع الهدافين، بل وأيضا صناعة اللعب، حيث إن المساهمين في تسجيل الأهداف كانت بينهم معركة خاصة.

ومع نهاية المونديال احتفظ الفرنسي مايكل أوليسه لاعب بايرن ميونخ الألماني، بصدارة قائمة صانعي الأهداف، بعدما أهدى 7 تمريرات حاسمة لزملائه.

ويبتعد أوليسه بفارق مريح عن أقرب منافسيه، مستفيدا من مباراة تحديد المركز الثالث، والتي ورغم خسارة فرنسا فيها 4 – 6، فإنه قد صنع هدفين لزملائه، ليرفع حصيلته التهديفية في التمريرات الحاسمة إلى 7.

ولم يكن إنجاز أوليسه مجرد صدارة عابرة في النسخة الحالية، بل إن هذا الرقم وضعه مباشرة في قاعة مشاهير المونديال عبر التاريخ، بعدما تخطى الرقم القياسي لعدد التمريرات الحاسمة في نسخة واحدة (5 تمريرات)، مسجلا اسمه بجانب أساطير خالدة مثل الألماني بيير ليتبارسكي في نسخة 1982، والأرجنتيني دييجو مارادونا في مونديال 1986، والألماني توماس هاسلر في مونديال 1994، والبولندي روبرت جادوشا في مونديال 1974.

ويتشارك المركز الثاني، 5 لاعبين، من بينهم فرنسي آخر وهو كيليان مبابي، والنرويجي مارتن أوديجارد، بالإضافة إلى المغربي إبراهيم دياز، والأرجنتيني ليونيل ميسي، والبرازيلي برونو جيماريش، برصيد 4 أهداف صنعها كل منهم، حسبما ذكر موقع الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا".

وبرصيد 3 تمريرات حاسمة، يتقاسم 6 نجوم المركز الثالث، وهم روبرتو ألفارادو "المكسيك"، وفلوريان فيرتز "ألمانيا"، وأنتوني جوردون "إنجلترا"، وأندرياس شيلدروب "النرويج"، وألكساندر إيزاك "السويد"، وبوكايو ساكا "إنجلترا".

ولم تقتصر ملامح التألق على الصدارة فقط، بل شهدت قائمة أفضل صانعي الأهداف حضورا عربيا لافتا، بعدما تساوى عدد من النجوم برصيد تمريرتين حاسمتين، يتقدمهم المصري محمد صلاح الذي يواصل قيادة منتخب بلاده بخبرته وتأثيره، إلى جانب الجزائري حسام عوار، والتونسي حنبعل المجبري، والمغربي أشرف حكيمي، في انعكاس واضح للتطور الكبير الذي تشهده المنتخبات العربية على الساحة العالمية. ويشاركهم الرصيد ذاته الألماني جوشوا كيميتش، والسويسري يوهان مانزامبي، والهولندي ريان جرافينبيرش، والنيوزيلندي كريس وود، والسنغالي إيليمان ندايي، والثنائي الإسباني مارك كوكوريا وداني أولمو.

وتبرز هذه الأرقام القيمة الفنية التي يقدمها نجوم مونديال 2026، بعدما تجاوز متصدرو قائمة صناع الأهداف ما تحقق في النسخ الأخيرة من البطولة، ففي مونديالي قطر 2022 وروسيا 2018، لم يحتج أفضل صانعي اللعب إلى أكثر من ثلاث تمريرات حاسمة لاعتلاء الصدارة، وهو الرقم الذي حققه آنذاك ليونيل ميسي وهاري كين وأنطوان غريزمان، كما تكرر المشهد في نسخ أقدم، مثل جنوب أفريقيا 2010 وفرنسا 1998، ما يعكس الارتفاع الملحوظ في المعدلات الهجومية والإبداعية خلال النسخة الحالية.

دقّة في التمرير

العرب
الثلاثاء 2026/07/21
السنة 49 العدد 13866

غرافيتي غزة.. الفن يروي الأمل والألم

لم تمنع الحرب والدمار فناني غزة من حمل فرشاتهم، بل حولوا أنقاض المنازل والجدران المتصدعة إلى لوحات تنبض بالأمل والذاكرة، في تجربة فنية توثق قصص السكان وتحفظ ملامح الأماكن التي غابت، لتصبح أعمال الغرافيتي شهادة إنسانية على قدرة الفن على مواجهة الفقد وصون الحكايات.

ألوان فوق أنقاض

غزة - في حي تل الهوا جنوب غرب مدينة غزة، تجلس الفنانة الفلسطينية جنة أبو هربيد فوق ركام منزل تعرض للدمار، بينما ترسم على قطعة إسمنت كبيرة خيمة يعلوها العلم الفلسطيني، وإلى جانبها عبارة باللغة العربية "الأمل باق"، في مشهد يعكس اتجاها متزايدا بين فناني الغرافيتي لاستخدام أنقاض المباني كمساحات فنية توثق آثار الحرب وتحمل رسائل إنسانية.

وباتت الجدران المتصدعة وبقايا المنازل المدمرة في أنحاء متفرقة من قطاع غزة تشكل لوحات مفتوحة لفناني الغرافيتي، الذين وجدوا فيها وسيلة للتعبير عن تجارب السكان خلال الحرب، واستحضار الذاكرة الجماعية، وإيصال رسائل تتعلق بالأمل والتضامن.

وقالت أبو هربيد (20 عاما)، وهي من بلدة بيت حانون شمال القطاع وتعيش حاليا نازحة في مدينة غزة، لوكالة أنباء "شينخوا"، إن الرسم على أنقاض المنازل أصبح بالنسبة إليها وسيلة للتعبير عن التجربة التي عاشها الفلسطينيون خلال الحرب.

وأضافت، بينما كانت تضع لمساتها الأخيرة على لوحتها، "أردت أن أعبر من خلال الرسم عن معاناتنا خلال الحرب، لذلك أحافظ على ممارسة الفن رغم كل الظروف".

وترى أبو هربيد أن بقايا المنازل ليست مجرد ركام، وإنما أماكن كانت تحتضن حياة كاملة، مشيرة إلى أن الرسم عليها يبعث برسالة مفادها أن أصحاب هذه البيوت وذكرياتهم ما زالوا حاضرين.

وأوضحت أن الحرب أثرت في مختلف جوانب حياتها، بعدما فقدت والدها في حرب سابقة، بينما تسببت الحرب الأخيرة في تعطيل تعليمها وصعّبت الحصول على أدوات الرسم بسبب ندرتها وارتفاع أسعارها.

ورغم ذلك، أكدت أن أعمالها الفنية لا تقتصر على توثيق المعاناة، بل تحمل أيضا رسائل تدعو إلى التمسك بالأمل، مضيفة أن قطاع غزة يضم العديد من المواهب الشابة التي تحتاج إلى فرص لإظهار إبداعاتها.

وتعد أبو هربيد واحدة من عشرات الفنانين الفلسطينيين الذين يتخذون من الغرافيتي وسيلة للتعبير عن واقع غزة.

وتأتي هذه المبادرات الفنية في ظل الحرب التي اندلعت عقب هجوم حركة حماس على جنوب إسرائيل في السابع من أكتوبر عام 2023، وما تبعه من حملة عسكرية إسرائيلية واسعة على قطاع غزة، خلفت دمارا كبيرا في الأحياء السكنية والبنية التحتية والمرافق العامة.

ويرى فنانون أن الحرب لم تغير فقط الأماكن التي يرسمون عليها، وإنما أعادت تشكيل مضمون أعمالهم، بعدما تحولت الجداريات من تناول قضايا اجتماعية وثقافية إلى توثيق الدمار، والحفاظ على ذاكرة الأماكن، وسرد قصص العائلات التي فقدت منازلها.

ولا يختلف الفنان الفلسطيني أُبي القرشلي (26 عاما) في نظرته إلى هذا التحول، إذ قال إن الحرب دفعت الفنانين إلى استبدال الجدران العامة بالمباني المدمرة، التي أصبحت شاهدا مباشرا على ما عاشه السكان.

وقال القرشلي، الذي فقد عددا من أفراد عائلته خلال الحرب ونزح أكثر من عشر مرات، لوكالة أنباء "شينخوا" إن حجم الدمار الذي خلفته الحرب منحه منظورا مختلفا للرسم.

وأضاف "الجدران والمنازل المهدمة أصبحت تحمل قصصا لا يمكن تجاهلها، لذلك انتقل الرسم إليها لأنها باتت المساحة الأكثر صدقا للتعبير عن الواقع الذي نعيشه".

وأوضح أن هدفه من الرسم على أنقاض المنازل ليس تجميل الدمار، وإنما إبراز القصص الإنسانية المرتبطة بكل موقع، لافتا إلى أنه يحرص على أن تعكس كل جدارية حياة العائلات التي كانت تسكن المكان وتحترم ذكرياتها.

وأشار إلى أن أفكار أعماله تنطلق من تفاصيل الحياة اليومية في قطاع غزة، ومن روايات أصحاب المنازل المدمرة والنازحين، لذلك يسعى إلى أن ترتبط كل لوحة بالمكان الذي ترسم عليه.

وقال "إذا عرفت قصة أصحاب المنزل، أحاول أن تكون اللوحة مرتبطة بذكراهم، وأن تحمل كلمات أو رموزا تعبّر عن الأمل حتى يشعر الناس بأن قصتهم ما زالت حاضرة".

ووصف القرشلي الرسم على منزل مدمر بأنه من أكثر التجارب تأثيرا في مسيرته الفنية، لما يحمله من مسؤولية تجاه أصحاب المكان وذكرياتهم.

وأضاف أن أكثر اللحظات التي تمنحه شعورا بقيمة عمله هي عندما يلتقي أصحاب المنازل بعد انتهاء الرسم، ويستمع إلى انطباعاتهم.

وقال "عندما يخبرني أحدهم أن لوحة معينة لامست مشاعره أو منحته لحظة أمل، أشعر أن العمل حقق جزءا من رسالته".

عملات أثرية توثق ازدهار تجارة العُلا القديمة

الرياض - تكشف المسكوكات الأثرية في محافظة العُلا جانبًا مهمًا من تاريخها الاقتصادي، بوصفها شواهد مادية توثق ازدهار الحركة التجارية، وتبرز مكانة المحافظة كونها مركزًا حضاريًا ارتبط بطرق القوافل التجارية وشبكات التبادل في شمال غرب الجزيرة العربية والعالم القديم عبر فترات تاريخية متعاقبة. وتُعد المسكوكات من أبرز اللقى الأثرية التي يعتمد عليها الباحثون في دراسة الأنشطة الاقتصادية، إذ تسهم في تحديد فترات التداول النقدي، وأنظمة سك العملات، والعلاقات التجارية بين الحضارات، إلى جانب ما تحمله من نقوش ورموز وكتابات تعكس الهوية السياسية والثقافية للعصور التي سُكت فيها.

وأظهرت الاكتشافات الأثرية في موقع الحِجر نماذج متنوعة من المسكوكات تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، من بينها مسكوكات فضية تعود إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وأخرى نبطية برونزية سُكّت في عهد الملك الحارث الرابع والملكة شقيلة خلال القرن الأول الميلادي، إضافةً إلى العثور على مسكوكات إسلامية أموية تعود إلى أواخر القرن الأول الهجري وبدايات القرن الثامن الميلادي، مما يعكس استمرارية النشاط الاقتصادي في العُلا عبر العصور. وتشير هذه المكتشفات إلى أن العُلا لم تكن مجرد محطة على طرق القوافل التجارية، بل مركزا نشطا لتبادل السلع والثقافات، تأثرت بالأنظمة النقدية الإقليمية، وأسهمت في تنشيط الحركة التجارية التي ربطت جنوب الجزيرة العربية ببلاد الشام ومصر وحوض البحر المتوسط.

وتواصل الدراسات الأثرية في العُلا توظيف هذه المكتشفات في قراءة تاريخ المنطقة من منظور اقتصادي واجتماعي وسياسي، بما يعزز فهم تطور النشاط التجاري، ويبرز القيمة الحضارية للمواقع الأثرية التي تحتضنها المحافظة، بوصفها سجلا تاريخيا يوثق مراحل ازدهارها ودورها المحوري في طرق القوافل التجارية القديمة.

سلاف فواخرجي تحسم الجدل بصورة عائلية

القاهرة - حرصت الفنانة السورية سلاف فواخرجي على وضع حد للشائعات التي طالتها خلال الساعات الماضية، بعدما شاركت جمهورها صورة عائلية جديدة عبر حسابها الرسمي على مواقع التواصل الاجتماعي، ظهرت فيها برفقة زوجها الفنان وائل رمضان وابنيهما حمزة وعلي، أثناء وجودهم في العاصمة المصرية القاهرة.

وجاء نشر الصورة بعد حالة من الجدل أثارتها صورة مفبركة جرى تداولها على نطاق واسع عبر منصات التواصل، قبل إنها أُنتجت باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، وزُعم أنها تُظهر سلاف فواخرجي داخل أحد المقاهي في العاصمة الروسية موسكو برفقة ماهر الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق بشار الأسد.

وتداول مستخدمون الصورة على أنها حقيقية، قبل أن يؤكد متابعون وعدد من الصفحات المهتمة برصد المحتوى المزيف أنها مفبركة، في وقت لم تصدر فيه الفنانة تعليقًا مباشرًا على الصورة المتداولة، واكتفت بنشر صورتها العائلية التي أوضحت مكان وجودها الحالي.

وظهرت فواخرجي في الصورة داخل أحد الأماكن في القاهرة برفقة أفراد أسرتها، وأرفقتها برسالة حملت طابعًا عائليًا وإنسانيًا، كتبت فيها: "نعمة كبيرة... الله يديمها ويحفظ كل الناس وعائلاتهم وأحبابهم".

كما أشارت في منشورها إلى وجودها في "مصر المحروسة"، في إشارة فهمها كثيرون على أنها توضيح غير مباشر لمكان إقامتها الحالي، خاصة مع تزامن المنشور مع انتشار الصورة المفبركة وما رافقها من تكهنات حول تحركاتها.

نقوش هيروغليفية جديدة تكشف أسرار الفراعنة

القاهرة - أعلنت وزارة السياحة والآثار المصرية عن اكتشاف أثري جديد في منطقة سقارة، تمثل في العثور على ثلاث مقابر صخرية تعود إلى عصر الدولة الحديثة، في كشف يُضاف إلى سلسلة الاكتشافات التي تعزز مكانة المنطقة باعتبارها أحد أهم المواقع الأثرية في العالم، وتوفر معلومات جديدة عن الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية في مصر القديمة.

وجاء الاكتشاف خلال أعمال حفائر علمية نفذتها بعثة أثرية مصرية في جبانة البوباسطيون، الواقعة بالقطاع الشرقي للحافة الجبلية لمنطقة سقارة، حيث أسفرت أعمال التنقيب عن الكشف عن مقابر تضم نقوشًا هيروغليفية وعناصر معمارية وأثرية تساعد الباحثين على فهم طبيعة المجتمع المصري خلال عصر الدولة الحديثة، الذي امتد تقريبًا بين عامي 1550 و1070 قبل الميلاد. ووفقًا لبيان صادر عن وزارة السياحة والآثار، أكد الوزير شريف فتحي أن هذا الكشف يعكس ما تختزنه منطقة سقارة من كنوز أثرية لم تُكتشف بعد، مشيرا إلى أن المنطقة لا تزال تمثل مصدرا غنيا بالمعلومات التاريخية التي تسهم في إعادة قراءة الحضارة المصرية القديمة.

من جانبه أوضح رئيس قطاع الآثار المصرية بالمجلس الأعلى للآثار، محمد عبدالبديع، أن الاكتشاف يأتي ضمن مشروع علمي متكامل لدراسة جبانة البوباسطيون، مؤكدًا أن أعمال الحفائر لا تزال مستمرة، ومن المتوقع أن تسفر عن المزيد من الاكتشافات خلال الفترة المقبلة.

وتعود المقابر المكتشفة إلى عدد من كبار المسؤولين الذين شغلوا مناصب مهمة في عصر الدولة الحديثة، وتحمل جدرانها نقوشًا هيروغليفية تتضمن أسماء أصحابها وألقابهم ووظائفهم، إلى جانب نصوص دينية وجنائزية كانت تُكتب داخل المقابر اعتقادًا بأنها تساعد المتوفى في رحلته إلى العالم الآخر، وفق المعتقدات المصرية القديمة.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

صافرة لا يملكها السياسيون

أخيرًا، أطلق الحكم صافرة النهاية. رفعت إسبانيا الكأس، صافح الأرجنتينيون خصومهم، بكى بعض اللاعبين، ابتسم آخرون، وبدأت الجماهير في العودة إلى حياتها الطبيعية. انتهى كأس العالم كما يجب أن تنتهي كل البطولات: فائز يعرف أنه فاز، وخاسر يعرف أنه خسر.

في تلك اللحظة تحديدا، خطر لي سؤال بسيط: لماذا لا توجد في السياسة صافرة نهاية؟

في كرة القدم، مهما طال الوقت بدل الضائع، يأتي وقت يرفع فيه الحكم الصافرة إلى فمه ويعلن أن المباراة انتهت. لا يستطيع أحد أن يطلب شوطا خامسا، ولا أن يحتج بأن الهدف الذي سجله قبل أسبوع يجب أن يُحتسب اليوم.

في الملاعب، هناك قانون واحد يطبَّق على الجميع، وقد يغضب المشجعون من قرار الحكم، لكنهم يعرفون أن شخصا واحدا يملك سلطة إطلاق الصافرة. أما في السياسة، فكل طرف يحمل صافرة خاصة به، ويعلن نهاية المباراة عندما يفوز هو، ثم يعيد تشغيلها عندما يخسر.

حتى الخاسر في كرة القدم يمتلك رفاهية الاعتراف بالنتيجة. يقول ببساطة "لم يكن يومنا"، ثم يبدأ الاستعداد للبطولة المقبلة. أما السياسي، فيملك موهبة نادرة؛ فهو قادر على تحويل كل هزيمة إلى انتصار تاريخي، وكل تراجع إلى "إعادة تموضع"، وكل أزمة إلى "إنجاز استراتيجي".

كرة القدم أيضًا أكثر رحمة بالجماهير. فهي تمنحهم شهرًا من التوتر، ثم تعيدهم إلى أعمالهم. أما السياسة، فلا تسمح لجمهورها بالإجازة. إنها بطولة مفتوحة على مدار السنة، تنتقل من أزمة إلى أخرى، ومن قمة إلى قمة، حتى ينسى الناس أصل القضية.

وفي المونديال، لا أحد يحتفل بهدف سجله قبل أربعين عامًا. التاريخ يُحترم، لكنه لا يمنح نقاطًا إضافية في المباراة الحالية. أما في السياسة، فكل لاعب يحمل معه أرشيفًا يمتد إلى قرون، ويستخرج من التاريخ ما يناسبه كلما احتاج إلى تبرير خلاف جديد.

حتى الجمهور يبدو أكثر حكمة في الملاعب. بعد أيام قليلة، يطوي الأعلام، ويعود إلى حياته، ويبدأ الحديث عن الموسم الجديد. أما في السياسة، فيبقى الجمهور أسير المدرجات، يصفق للخطب، ويهاجم الخصوم، ويعيش المباراة وكأنها قدر أبدي لا يجوز مغادرته.

ومن المفارقات أن كرة القدم، التي يُتهم جمهورها دائمًا بالعاطفة، تبدو أكثر عقلانية من السياسة. فالكرة تعترف بالأرقام، والإحصاءات، وعدد الأهداف، وترتيب المنتخبات. أما السياسة، فهي المجال الوحيد الذي يستطيع فيه الجميع أن يعلنوا النصر في اليوم نفسه.

ولعل أجمل ما في الرياضة أنها تعلم الإنسان فضيلة نادرة: تقبّل النهاية. فكل بطولة، مهما بلغت إثارتها، لا بد أن تنتهي. أما السياسة، فتتصرف وكأن التاريخ لا يعرف الفواصل، وكأن كل أزمة يجب أن تبقى مفتوحة.

ربما لهذا السبب يحب الناس كرة القدم. ليست لأنها مجرد لعبة، بل لأنها تمنحهم ما لا تمنحه السياسة: يقينا بأن النهاية ستأتي.

أما في السياسة، فلا أحد يعود إلى البيت. الجميع يبقى داخل الملعب؛ اللاعبون، والمدربون، والجمهور، وحتى المعلقون. المباراة لا تنتهي، والوقت بدل الضائع أصبح هو الزمن الأصلي.

انتهى مونديال 2026، وأغلقت الملاعب أبوابها، وعادت الجماهير إلى أعمالها وهي تعرف من رفع الكأس. وحدها السياسة واصلت اللعب، بلا حكم متفق عليه، وبلا جمهور محايد، وبلا صافرة نهاية.